

حلاجات

يقظة متوهجة في حضور الحلاج

فلك الدين كاكهیی

حلا جیات

یقظة متوهجة فی حضور الحلاج

الكتاب الأول



دار آراس للطباعة والنشر

اربیل - اقلیم الكردستان العراق

جميع الحقوق محفوظة ©
دار اراس للطباعة والنشر
شارع جولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الالكتروني aras@araspres.com
الموقع على الانترنت www.araspublishers.com
الهاتف: 00964 (0) 66 224 49 35
تأسست دار آراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

حلاحيات
فلك الدين كاكهبي
منشورات آراس رقم: ١٠٠٨
الطبعة الأولى ٢٠١٠
كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة
مطبعة آراس - اربيل
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٥٢٢ - ٢٠١٠
الايخراج الداخلي: كارزان عبدالحميد
التنضيد: رضا واحد . سنجر حسين
الغلاف: مريم متقيان
التصحيح: أوميد احمد البناء . حواس محمود

الفهرست

القسم الأول:

٧..... عن حياة ومأساة الحلاج وما كتب فيه حتى اليوم

الفصل الأول:

- ٩..... - التمهيد
- ٩..... - أعدم بسبب دوره السياسي والاجتماعي
- ١١..... - الحلاج كان ثورياً

الفصل الثاني:

- ١٣..... - الحلاج موضوعاً
- ١٣..... - من هو الشبيبي

الفصل الثالث:

- ١٧..... - الحلاج في الشعر والأدب في القرن العشرين
- ١٧..... - شاعر كردي يطلق أول بادرة عربية في الأهتمام بالحلاج حديثاً
- ١٨..... - رسوم عن الحلاج

الفصل الرابع:

- ٢٠..... - دور الشعراء والكتاب من اصل كردي
- ٢٠..... - الحلاج في الشعر والأدب الكردي

الفصل الخامس:

- ٢٣..... - ماكتبه كامل مصطفى الشبيبي عن حلّاجيات

الفصل السادس:

- ٢٩..... - كيف صرت حلّاجياً

٣٥..... هوامش ومراجع

٣٦..... ملاحظة:

القسم الثاني:

٣٩..... من نصوص "حلّجيات"

٤١..... الفصل الأول: على عتبة الموت

٦٠..... الفصل الثاني: كيف كانوا سيعذبون الحلاج في القرن العشرين

٨٧..... الفصل الثالث: بداية الحلج الذاتي ماذنيك لتولدي

١٤٤..... الفصل الرابع: تأملات وحكايات

١٧٢..... الفصل الخامس: انا اغني لمن يفهمونز

١٩٠..... الفصل السادس: البحث عن الحقيقة يُلهم الأنسان

القسم الأول:

عن حياة ومأساة الحلاج وما كتب فيه حتى اليوم

الفصل الأول

مقدمة الكتاب الأول

تمهيد:

أقتبست تعبير (حلّاجيات) من إسم الحلاج الشهيد، وهو العارف والصوفي المعروف (٨٥٧-٩٢٢)، الذي قيل انه ولد في نيشابور في خراسان، وهي نفس المدينة التي ولد وعاش فيها عمر الخيام بعد الحلاج بفترة قصيرة.

كان الحلاج يكنى بأبي عبدالله، وابي عمارة، وأبي المغيث. وقد اشتهر بأسم الحلاج ربما نسبة الى مهنة والده الذي كان يخلج القطن وقتل على أيدي رجال السلطة بسبب خلاف حول دفع الضرائب.

وأنتقلت عائلته من ايران إلى العراق وسكنت جنوب شرق البصرة، ودرس في الكتاتيب هناك وتعلّم اللغة العربية وأتقنها كما يظهر في مجموعة قصائده الشعرية الوجدانية ذات الطابع الصوفي الخاص به. وأشتهر لاحقاً، بعد أن تحول إلى التصوف بشكل كامل، بشطحاته ولغته المشتعلة.

قضى الحلاج صباه في ظروف إجتماعية وسياسية ملتعبة حيث كانت حركة الزنج الثورية المتطرفة منتشرة، وهي حركة معارضة، مناهضة للخلافة العباسية(٢).

وأتصل فيما بعد بالعلويين وسط العراق، وكذلك بحركة القرامطة، التي هي وجه آخر لحركة الزنج، بل ان الحركتين توحدتا. وكان الحلاج آنذاك مستقراً في بغداد. فقبض عليه رجال الخلافة العباسية بتهمة «القرمطية» وكانت تهمة بالغة الخطورة آنذاك. ويقال أنه كان وثيق الصلة بزعماء القرامطة والزنج.

أعدم بسبب دوره السياسي والاجتماعي:

اذ بينما تنسب الى الحلاج كلمات ومصطلحات وأفكار تدل على الكفر والزندقة، مما جعلوها حجة فحوكم وادين بالكفر وتقرر إعدامه، وقد صلبوه وقطعوا أعضاء جسمه ثم أنزلوه من خشبة الأعدام وذبحوه واحرقوا جثته وذررو رماده في نهر دجلة. وكان حامد الوزير العباسي ورجاله لفقوا ضده تهماً عديدة بما فيها تهمة الفسق والفجور إلا أنه دحض هذه التهم وتبدأ منها، ثم حاولوا ادانته بتهمة الأذعاء بالألوهية كما في قوله المشهور «أنا الحق»، إلا أن الحلاج في المحكمة أثبت بطلان هذه التهمة أيضاً. فمن المعروف لدى معظم الناس أنهم قد اعدموه بسبب هذا القول، إلا أنه تبرأ من ذلك أمام كبار قضاة الخليفة العباسي. أخيراً زعم الشرطة والقضاة انهم عثروا بين أوراق الحلاج (وكان غزير الكتابة والشعر) ما ينص على «ان الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه ذلك، فإنه يستغنى عنه بأن يعمد الى بيته، ويفرد فيه مكاناً، يُطهره ويطيبه، ويعمل له محراباً يشبه الكعبة، ويغتسل، ويحرم، ويقول، ويفعل، ويصلي، ويطوف حوله، كما لو كان في مكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، فيكرم ضيافتهم، ويطعمهم، ويخدمهم بنفسه، ويغسل أيديهم، ويكسوهم، ويدفع لكل منهم سبعة دراهم^(١)».

وقد أنكر القاضي أبو عمرو علي الحلاج إطلاق هذا القول الذي يدعو الى هدم الكعبة، كما قال. وساله عن مصدر هذا القول فأجاب الحلاج إنه قرأه في كتاب الإخلاص للحسن البصري، فأنكر أبو عمرو وجود ذلك الكتاب، بينما أصر الحلاج على قوله ان هذا الكتاب موجود، فانتفض أبو عمرو ونهر الحلاج قائلاً: «يا حلال الدم!».

كانت هذه العبارة بمثابة ادانة للحلاج، وأستغلها الوزير العباسي حامد والح علي القاضي (الذي تردد فيما بعد) أن يكتب هذه العبارة في قرار الحكم، وهو يعني إهدار دم الحلاج. وقيل ان طريقة الحكم عليه قد تمت هكذا.

ان فقهاء علماء المسلمين بالطبع لا يوافقون على قول الحلاج حول الحج (فيما لو صح أنه زعمه فعلاً)، إلا أن محاولة إرغام الحلاج على الاعتراف بأنه هو مبتكر

هذا القول تشير الى نيّة مبيّنة لقتله مهما كلف الأمر. فلم يكلف القاضي أبو عمر نفسه أو غيره بالبحث عن كتاب الإخلاص للبصري حتى يتأكد منه، بل نطق في لحظة غضب بعبارة «يا حلال الدم».

ومنذ إعدام الحلاج، لازالت حياته لغراً وأفكاره مثيرة للجدل طوال أكثر من ألف عام.

الحلاج كان ثورياً:

فالأرجح إن السبب الأصلي لإعدام الحلاج لم يكن دينياً أو مذهبياً، ولا الضلال والزندقة، بل كان سبباً إجتماعياً سياسياً، ذلك لأن الحلاج كان يناصر الفقراء والمعدمين ويدافع عن المظلومين في ذلك العهد، وعقد اتصالات مع قادة أخطر حركتين اجتماعيتين ثوريتين هما الزنج والقرامطة. ولم يكن الحلاج يخفي آراءه السياسية وقيل أنه نظم، او حرض على تنظيم، أول مظاهرة للجبياع والفقراء في شوارع بغداد. ولما كان عدد كبير من الناس قد اجتمعوا حوله وتكاثر أنصاره مما أثار الخوف والهلع في دار الخلافة العباسية فأندفع رجال وأجهزة الحكومة بملاحقة الحلاج، الذي أختفى فترة، حتى عثروا عليه وزجوا به في السجن. ومن داخل معتقله ظل الحلاج يتصل بأنصاره ومريديه سيما وقد أنتشرت عنه كرامات وخوارق آنذاك، فعذبوه بشدة وعلقوه لثلاثة أيام ليشاهده الناس. ثم أعادوه الى السجن ودبروا له قصة المحاكمة التي سبق ذكرها، وقد أستشهد يوم ٢٦ مارس (آذار) سنة ٩٢٢ ميلادية.

وأكدت الدراسات والبحوث أن القاضي أبو عمر الذي أصدر حكم الموت بحق الحلاج لم يكن مقتنعاً بالقرار، بل اصدره تحت الضغط الشديد للوزير العباسي حامد وأتباعه^(٢).

وقد أخذوا من الوراقين في بغداد تعهداً بعدم الإحتفاظ بكتب وأوراق الحلاج بل إتلافها، وعدم إعادة كتابتها. وأستمر ذلك الحظر حوالي قرنين، أعيدت الحياة بعد ذلك لكتابات الحلاج وتجراً أنصاره إعلان الدفاع عنه بإعتباره بريئاً، شهيداً، وباشروا بنشر أفكاره. يكتب الشيبلي أنه لم يمض إلا قرن من الزمان حتى أخبرنا

أبو العلاء المعري والهجويري ان فرقة صوفية حلولية نشأت في بغداد بوصفها شيعة للحلاج تؤمن بحلول الجزء الألهي فيه وتنتظر ظهوره من أمواج دجلة بإعتباره مهديهم المنتظر يكتب العالم العراقي الراحل د. كامل مصطفى الشيبلي (٣): «لعل أكبر شخصية فتحت الباب لحماية الحلاج والدفاع عنه هو الشيخ عبدالقادر الجيلي (١٠٧٧-١١٦٦) وذلك في عبارته المشهورة «عُثِرَ الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده. ولو كنت في زمنه لأخذت بيده».

يضيف كامل الشيبلي أنه بعد دفاع الشيخ عبدالقادر الجيلي عن الحلاج قد «أنفتح الباب على مصراعيه للحلاج، وان ظل الفقهاء على خصومتهم له لأنهم خصوم التصوف والكلام والفلسفة بأجمعها باعتبار إهتمامهم الوحيد منصباً على المسائل التطبيقية في الدين فقط» (٤).

الفصل الثاني

الحلاج موضوعاً:

سنة ١٩٧٥ - ١٩٧٦ أصدر الشيبلي كتاباً أكاديمياً مهماً عن الحلاج بعنوان (الحلاج موضوعاً) يتضمن أهم مآقاله أهل التصوف والعرفان والشعراء والكتاب منذ أستشهد الحلاج حتى أوائل سبعينيات القرن العشرين. وسنستعرضه فيما بعد. ونتوقف عنده قليلاً لعلاقته بزاوية (حلاجيات) التي كتبتها في جريدة التآخي لعدة السنوات.

من هو الشيبلي؟:

نقرأ في سيرته الذاتية أن كامل مصطفى الشيبلي، استاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد، ولد في الكاظمية (بغداد) في ٦ نيسان ١٩٢٧م، وحصل على تعليمه الأبتدائي والثانوي في الكاظمية والأعظمية. نال درجة الليسانس في الآداب من جامعة الأسكندرية سنة ١٩٥٠ ودرجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية منها أيضاً سنة ١٩٥٨ بأشراف المرحوم د. أبو العلا عفيفي. نال درجة الدكتوراه من جامعة كمبرج سنة ١٩٦١ بإشراف البروفيسور آرثر جون آربري. بدأ عمله الجامعي في كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٦١.

وكان د. كامل الشيبلي يميل الى ارتياد الموضوعات الأبتكار مع تعدد في الأهتمام خصوصاً في ميداني الفكر الإسلامي والأدب العربي. زار مصر و ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية أستاذاً و زائراً ومنتدياً وباحثاً ونال جائزة جمعية أصدقاء الكتاب اللبنانية على كتابه «ديوان الدوبيت في الشعر العربي» لسنة ١٩٧٢. كان أستاذاً للتصوف وعلم الكلام في جامعة بغداد.

وله مؤلفات عديدة حول التصوف والتشيع والحلاج، ما يهمننا في هذا الباب هو الكتاب الذي نحن بصدهه، أي: الحلاج موضوعاً^(٥).

فقد بذل المؤلف جهداً ضخماً وأستعرض مآقيل في الحلاج في الآداب والفنون

الغربية والشرقية قديماً وحديثاً.

ففي فصله عن الحلاج في الشعر العربي والشرقي قديماً ذكر من بين العلماء وشيوخ التصوف والشعراء الذين تطرقوا الى تراث الحلاج وجعلوه موضوعاً لهم، حتى سمى بعضهم «بالحلاجي»، اسماء بارزة مثل: الشيخ عبدالقادر الجيلي، اليافعي، أبو سعيد بن أبي الخير، ابن حزم الأندلسي الذي هاجم أبو سعيد أبو الخير، أبو العلاء المعري الذي أيضاً هاجم الطوليين من أنصار الحلاج، يحيى بن حبش بن أيرك الملقب بالسهروردي المقتول (١١٥٦-١١٩٢) الذي دافع عن الحلاج، وأنتقلت موجة المعرفة الصوفية السرية المستلهمة من تراث الحلاج الى ابن المسفر وهو أبو الحسن علي السبتي في المغرب وأستاذ محي الدين بن عربي (١٢٤١) شيخ الصوفية الأكبر وفيلسوف وحدة الوجود، وأخذها بن عربي من أستاذه الذي عبر عن مفهوم الصوفية للموت واستحبابهم له واعتباره إياه حياة جديدة حقيقية على عكس الحياة الدنيوية الباطلة، وذكر بن عربي معنى هذا التعبير الحلاجي: «أنا من أهوى، ومن أهوى أنا»، وصاغ قصيدة معروفة صيغت عليها القصائد الصوفية في الأندلس.

ثم جاء الشاعر أبو الحسن الششتري (١٢١٤-١٢٦٩) ودافع عن الحلاج في شعره، ثم في الاندلس أيضاً الشاعر ابن غانم المقدسي الذي كان أول شاعر مسرحي مبتكر في العالم العربي فوضع مجموعة شعرية أسماها «شرح حال الأولياء» وفي قصيدته عبر المقدسي عن تصوره لمعنى جملة الحلاج «أنا الحق». وفي قصيدة أخرى لابن غانم المقدسي عبّر عن تمايله الشديد مع الحلاج فوضعه في مصاف عيسى بن مريم (ع) في الروحانية والقداسة.

كما رفض القول بقتل عيسى وصلبه وأستعاض عن ذلك بفكرة التشبيه. فقال المقدسي:

هيهات، ماقتلوه كلا، ولا صلبوه
لكنهم حين غابوا عن وجوده شبهوه
أحبابه، حين غاروا عليه، قد غيَّبوه^(٦)

وهكذا جاء الشعراء والمتصوفة ودافعوا عن الحلاج وفسروا شطحاته وبرروا له جملته «أنا الحق» وغيرها، ونشير الآن فقط الى أسماء أبرز من جعلوا الحلاج موضوعاً للشعر والأدب والبحث منذ القرن الثالث عشر الميلادي حتى القرن السابع عشر ومنهم: فريدالدين العطار الذي تقمص روح الحلاج وجعل ينطق باسمه، ثم الشاعر الكبير جلال الدين الرومي البلخي (١١٧٢م)، والشيوخ عبيد الحرفوش وعلي الأعلى (١٤١٩) من زعماء الحروفية الذين دافعوا عن الحلاج بقوة وكافحوا كفاحه ونالوا ماناله. فقتل الكثير منهم، أبرزهم زعيمهم فضل الله الروفي (١٤٠١م)، وعمادالدين النسيمي البغدادي، الذي قال شعراً بالتركمانية، كذلك العطار التونسي، والشاعر من اليمن: السوداني المشهور بالهادي اليمني من أصحاب وحدة الوجود وأتباع الطريقة القادرية، وهو حلاجي متحمس.

وظهر في ليبيا وليّ هو الشيخ عبدالسلام الأسمر «بن سليم بن محمد الحسيني الفيتوري (١٤٧٥-١٥٧١) يسميه الشيبلي بـ"ولي ليبيا حتى اليوم" وردد مقولة الشيخ الجيلي من أنه لو عاصر الحلاج لأخذ بيده وجنبه مصيره»^(٧).

- والأسماء كثيرة، فقد طبقت شهرة الحلاج المصلوب في بغداد أرجاء العالم الإسلامي من الأندلس حتى اليمن ومصر والشام وليبيا والمغرب، وتوارثت الأجيال اللاحقة أفكار الحلاج ونهجه.

ثم يذكر كامل الشيبلي ان التصوف مازال قائماً ملموساً في العالم العربي والعالم الإسلامي في القرن العشرين، حيث قامت الحركات التحررية والثورية على أكتاف الصوفية مثل الحركة السنوسية في ليبيا والمهدية في السودان وعمر الصوفي في الصومال والشيخ عبدالقادر الجزائري في الجزائر وعمر المختار في ليبيا وما الى ذلك من نماذج. ولا أدري كيف فات د. كامل الشيبلي أن يذكر الدور التحرري الثوري لشيوخ الطريقة النقشبندية مثل الشيخ أبو عبيدالله النهري، والشيخ سعيد بيران، وسيد رضا (في كردستان تركيا) الذين قادوا إنتفاضات وثورات كردية واسعة، كذلك الشيخ عبدالسلام البارزاني وملا مصطفى البارزاني والشيخ أحمد البارزاني، ومن الطريقة القادرية في التصوف الشيخ محمود الحفيد

من كوردستان العراق، كل هؤلاء كانوا قادة كباراً أبدوا آيات من التحمل والصبر والمقاومة، وبعضهم أستشهدوا والبقية ظلوا مضطهدين محاصرين حتى الموت.

وذكر الشيبلي مدى عمق التصوف في المجتمع التركي وكيف أنه بعد تأسيس كمال مصطفى الجمهورية العلمانية فقد عادت التنظيمات الصوفية الى تركيا في الأربعينيات وغدا الشعب التركي موزعاً بالملايين بين الطريقة البكتاشية والمولوية. وفي ايران تستمر ظاهرة التصوف مع تعارضها الواضح مع التشيع. ولأيران طرقها الصوفية الخاصة بها ومنها: النعمة اللهيّة والنوربخشيه، وعلى هذا النسق نشاط الطريقة التيجانية في المغرب والطريقة الجشتية والسهورودية والقادرية في الهند. ويضيف الشيبلي أنه حيثما وجد التصوف جاء ذكر الحلاج على شكل من الأشكال «كيف لا وهو شهيد التصوف التاريخي المجمع الآن على بطولته وولايته وسموه الروحي»^(٨).

الفصل الثالث

الحلاج في الشعر والأدب في القرن العشرين:

يبدأ كامل الشيبلي بذكر صدور كتاب في الهند سنة ١٨٨٨م بعنوان «ديوان منصور حلاج»، خلا من أسم الشاعر الذي وضعه.

واما الميلاد الجديد للحلاج في القرن العشرين فقد بدأ على يد «عاشق للحلاج وولي» كما يصفه كامل الشيبلي، هو لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢) حين زار بغداد وصور مقامات الصوفية فيها ووصفها والقى في مؤتمر المستشرقين في اثينا سنة ١٩١٢ بحثاً مطولاً حول عبارة «أنا الحق» الحلاجية أستأثر بأعجاب الناس خاصة باحث العراق اللغوي أنستاس ماري الكرمللي. فيقول الشيبلي «ومن هذا التأريخ ولد الحلاج من جديد ودار حوله إهتمام كثير غطى أرجاء العالم الإسلامي كله»^(٩).

ومن هنا بدأ الإبداع باستلهاام حياة واستشهاد وأفكار الحلاج.

فظهر في الهند ديوان في قصة الحلاج للشاعر السندي امام بخش سنة ١٩١٨. وكان محمد إقبال (١٨٧٣-١٩٣٨) قد كتب عن الحلاج سنة ١٩٠٧. وبعد اطلاعه على منهاج من سبقه من الصوفية. وفي تركيا نظم الشاعر حسن زكي مسرحية شعرية عنوانها (منصور حلاج) سنة ١٩٤٢، ذكر فيها ان الحلاج يقول أنه من نسل زرادشت^(١٠). ونظم الشاعران التركيان أمين ادلكن و عساف حالت جلبي أشعاراً حول الحلاج.

شاعر كوردي يطلق أول بادرة عربية في الإهتمام بالحلاج حديثاً:

الشاعر المتفلسف جميل صدقي الزهاوي بن الملا أحمد بابان، من أصل كوردي هو أول من جاءت منه مبادرة عربية^(١١) باللغة العربية) في الإهتمام بالحلاج في القرن العشرين، ففي سنة ١٩٤٣ أصدر مجموعة شعرية بعنوان «الأوشال» ضمنها قصيدة طويلة بعنوان «ثورة في الجحيم» ذكر فيها الحلاج بإعتباره مفكراً ثائراً

وإنساناً فتي لا يبالي في موقف الحق ان يتحمل ما لا طاقة لغيره .. وكان الزهاوي أيضاً جريئاً في قول الحق ونقد الحكام والمستبدين والمظالم دون أن يأبه بالنتائج ولاقى عذاباً متواصلًا بسبب مواقفه الثورية.

وفي سنة ١٩٣٦ تطرق محمد كرد علي في كتابه «الإسلام والحضارة» الى عظمة منصور الحلاج، وقال ان الخليفة العباسي لما أكتشف إتفاقاً سرياً بين الحلاج وزعيم حركة القرامطة أمر بأعتقال وقتل الحلاج، متهماً إياه بالاحاد. ويقول: ماكان الحلاج ملحدًا بل أتهم به كغيره لأسباب سياسية.

اما أول كتاب أفرد للحلاج بدراسة كاملة في اللغة العربية (في القرن العشرين) فهو كتاب «الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي» للباحث طه عبد الباقي سرور، صدر في القاهرة سنة ١٩٦١.

وذكر أدونيس (الشاعر اللبناني علي أحمد سعيد) الحلاج في سريته له ديوانه (اغاني مهيار الدمشقي) سنة ١٩٦١، واصر الشاعر عبدالوهاب البياتي ايلول ١٩٦٥ مجموعة شعرية بعنوان «سفر الفقر والثروة» ضمنها قصيدة بعنوان «عذاب الحلاج». كذلك عبدالستار الراوي، سنة ١٩٦٥ نظم قصائد في رثاء الحلاج وصلاح عبدالصبور من مصر سنة ١٩٦٥ كتب مسرحية بعنوان «مأساة الحلاج»، وقيس لفته مراد، شاعر من اصل كوردي، أصدر في العراق سنة ١٩٦٦ ديوان «اغاني الحلاج».

ويكتب كامل الشيبلي ان الحلاج دخل السياسة الصريحة على صورة زاوية ثابتة في جريدة التآخي البغدادية بعنوان «حلاجات» وكان الكاتب يرمز لنفسه باسم «الحلاج» ... ثم يقول: علمنا فيما بعد ان الكاتب المتنكر هو فلك الدين الكاكائي. (سأستعرض لاحقاً ماكتبه الشيبلي عن حلاجات..).

رسوم عن الحلاج:

ويخصص الشيبلي فصلاً خاصاً من كتابه لعرض أهم الرسوم «الحلاجية»، يعني مارسموه عن الحلاج قديماً وحديثاً منها: رسوم في مخطوطة للبيروني، ولوحة

بريشة أحمد حافظ الشيرازي، وأخرى من كتاب تذكرة الألباء للعطار من القرن العاشر الهجري، ومنمنمة فارسية من القرن الحادي عشر الهجري، ومنمنمة هندية من قرن ١٢ هجري، وغيرها من الرسوم القديمة عن مختلف مشاهد صلب وقتل الحلاج. جمعها ماسينيون ومن الفنانين التشكيليين المعاصرين يتضمن كتاب الشيبني رسوماً لضياء العزتوي عن مأساة الحلاج، ورسوماً لشاكر حسن آل سعيد عن نفس المواضيع، ورسوماً لفنانين مصريين وغيرهم.

الفصل الرابع

دور الشعراء والكتاب من أصل كوردي:

كتاب «حلاج موضوعاً» لكامل مصطفى الشبيبي يحمل أهمية توثيقية لتراث الحلاج وماكتب عنه منذ إستشهاده. ولم يسع لنا ذكر جميع الأسماء والتفاصيل الدقيقة التي يحفل بها هذا الكتاب.

ويتبين مما عرضه الشبيبي ان ثلاثة شعراء وكتاب كورد (من العراق) تناولوا موضوع الحلاج في أنتاجاتهم باللغة العربية، وهم:

جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٤، وقيس لفته مراد ١٩٦٦، وفلك الدين كاكه بي (أ . برشك) منذ سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٤.

الحلاج في الشعر والأدب الكوردي:

يبدو ان كامل الشبيبي كان يجهل اللغة الكوردية وغير مطلع على التراث الكوردي الكلاسيكي الذي يزخر بالحديث عن الحلاج، فلم يتطرق الى الحلاج في الشعر والأدب الكوردي، بينما ذكر الذين اتخذوا الحلاج موضوعاً لكتابتهم باللغات العربية والفارسية والتركية.

إلا ان معظم الشعراء الكورد لاسيما الكلاسيكيين منهم قد تطرقوا مراراً إلى مأساة الحلاج وأفكاره، اذ ان محنة الشعب الكوردي كانت مماثلة للحلاج الذي ذهب ضحية المظالم والالتباسات والافتراءات كما هو حال الثورات الكردية وقادتها.

وابرز الشعراء الكورد الكلاسيكيين الذين يمكن ذكرهم، ممن أتخذوا الحلاج موضوعاً لبعض أبيات قصائدهم او كلها(١٢):

- بابا طاهر الهمداني (٩٣٥-١٠١٠) اول شاعر كوردي دون شعره في زمنه، وبقي لنا مدوناً، ويعتبر بداية للشعر الكوردي بعد الإسلام، نظم رباعياته

المشهورة باللهجة اللورية - الكوردية. كان الهمداني، في إعتقادي، حلاجياً حياً، بمعنى أنه كان متصوفاً بالغ الرقة والذكاء، ومدافعاً ثابتاً عن المحرومين ودعا الى قلب الدنيا على أعقابها للبحث عن جواب سؤال عن التمييز الفاحش بين الفقراء والميسورين. ولقب بابا طاهر بالعريان لشدة زهده وورعه وإنصرافه الكامل الى التأمّلات الروحية.

- الملا جزيري (٤٠٧-١٤٨).

- أحمددي خاني (١٦٤١-١٧٠٢).

- بيساراني (١٦٤١-١٧٠٢).

- مولوي (١٨٠٦-١٨٨٢) عاش في هورامان وحبجة، وهو غير جلال الدين الرومي الملقب ايضاً بـ«مولوي» وقد عاش الاخير قبل حوالي ستمائة عام وتوفي في مدينة قونية بالأناطول.

- مولانا خالد النقشبندي (١١٩٣-١٢٤٢هـجري) المجدد المعروف للطريقة التقشبندي ونقلها الى كوردستان ونشرها في الشرق الأوسط.

- نالي، وهو ملا محمد أبين عثمان البلخي (١٨٣٠-١٩٠٦).

- محوي (١٨٣٠-١٩٠٤).

- وحصل صبور عبدالكريم سنة ٢٠٠٨ على الماجستير في الأدب الكوردي في كلية التربية - ابن رشد في جامعة بغداد وذلك عن بحثه القيم باللغة الكوردية في موضوع الحلاج بعنوان شخصية وأفكار الحلاج في أشعار (محوي) الكوردي و(حافظ الشيرازي) الفارسي، وأستعرض قصائد للشعراء الكورد المذكورين الى جانب عدة شعراء من اللغة الفارسية.

وأوضح عمق تأثير الحلاج وأفكاره على الأدبين الكوردي والفارسي. ومن الشعراء الفرس الآخرين الذين ذكرهم ممن تحدثوا عن الحلاج ذكر أسماء: سنائي، فريدالدين العطار، مولانا جلال الدين الرومي، الشبستري، محمد شيرين مغربي، شاه نعمة الله ولي، وسعدي الشيرازي. ومحور هذا البحث هو أوجه المقارنة بين

(محيوي) و (حافطة الشيرازي) من حيث التشابه والتباين(١٣).
لعل رسالة صبور عبدالكريم هي أهم دراسة عن الحلاج باللغة الكوردية في نثر
شفاف جميل.
- وكان الأديب مجيد مصري قد أعد مسرحية عن الحلاج باللغة الكوردية أوائل
تسعينيات القرن العشرين.

الفصل الخامس

ما كتبه مصطفى الشبيبي عن «حلاّجيات»

كما قلنا، لم ينسى د. الشبيبي أية قصيدة لأي شاعر أو أي بحث لكاتب عن الحلاج أيجاباً أو سلباً إلا وتناوله منذ إستشهاد الحلاج سنة ٩٢٢ م حتى النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

فأثارت إنتباهه أيضاً زاوية «حلاّجيات»، التي تحول أسمها الى «المدار الأخير» ثم «صوت» خلال أيلول حتى أوائل سنة ١٩٧٤. وكنت قد بدأت هذه الزاوية بتوقيع مستعار هو الحلاج. إلا أنه لم يفت على العالم الكبير الشبيبي أن يتابع كتاباتي المنشورة في جريدة يومية. ومثل هذه المتابعة أمر متعب ومرهق لعالم غارق في بحوثه الأكاديمية، وسنرى كيف أنه يكتشف أسمائي المستعارة الأخرى، كلما غيرت العناوين والتواقيع..

وبإختصار، فقد خصص الشبيبي في كتابه (٣) فقرات في حوالي (١٠) صفحات عن كتاباتي الحلاجية، وفيما يلي هذه الفقرات:

أولاً: ص ٩١-٩٢: يقول الشبيبي ان الحلاج دخل دنيا السياسة الصريحة على صورة زاوية ثابتة في جريدة التآخي البغدادية، بعنوان «حلاّجيات». وكان الكاتب الذي رمز لنفسه باسم (الحلاج) يعكس الأحداث من خلال الظروف التي أحاطت بالحلاج المقتول ليحدد ذكره ويجعله نموذجاً للضحية البريئة للملابسات السيئة التي عاصرتة وأودت به بإعتباره للمظلوم الحر، وكأن الكاتب الكوردي كان يرمز بذلك إلى الشعب الكوردي نفسه وقضيته في رأيه. ويذكر الشبيبي في هامش هذه الصفحة انه «علمنا فيما بعد ان الكاتب المتنكر هو فلك الدين الكاكائي» - وقد أصاب فيما قال...

ثم يضيف الشبيبي قائلاً:

ومن أطرف ما جاء في هذه الزاوية من يوميات، إعتبار الحلاج ممثلاً للروح

الوطنية الكوردية ومعاداً لزرادشت نبي الفرس، والأكراد جيل منهم. وهي فكرة تذكر بمسرحية الشاعر التركي زكي أقطاي. يضاف الى هذا ان هذه الفقرة التي نشير اليها قد تضمنت الصلة التي عقدها محمد اقبال بين الحلاج ونيتشه، على صورة سلبية، قال «الحلاج» الكوردي الحديث في جريدة التآخي (في عدد يوم ١٩٦٧/٩/٢٦م):

.....

وأعاد الشيبلي نشر هذه الفقرة التي تجدونها نصاً في هذا الكتاب ولنفس اليوم الذي نكره. وتستوقفتني هنا ثلاث ملاحظات:

أ - في هذه الفقرة دحضت على لسان زرادشت ما نقله (أو هكذا فهموا منه فيما بعد) الشاعر الألماني فريدريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) الذي بشر بولادة الإنسان الأعلى الكامل، فزعم الأيدولوجيون النازيون الألمانيي الجنسية ان نيتشه قال بقتل الضعفاء والمعتوهين وابناء الشعوب المتخلفة بغية افساح المجال أمام ولادة أنسان كامل أعلى جسدياً وروحياً. أما الواقع فإن نيتشه لم يقل شيئاً كهذا، وانما استخدموا هذا الزعم على لسانه لممارسة القتل العنصري في المانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

وقد أختتمت هذه الفقرة من حلّاجيات بالقول على لسان زرادشت بان الإنسان الكامل الأعلى انما يولد من خلال القضاء على الضعف الداخلي للإنسان في اعماقه للتسامي بروحه الى علياء النقاء والصفاء. وحين فاه زرادشت بهذا مات نيتشه الى الأبد (معناه ماتت أفكاره) ... وردت جنبات الوادي صدى الهتاف المدوي «فكر خيراً، قل خيراً، اعمل خيراً»، وهي التعاليم الثلاثة لزرادشت. (راجع نص فقرة أو لوحة التآخي لليوم المذكور، المنشورة ضمن نصوص هذا الكتاب).

ب- توضيحاً لقول الشيبلي ان "الأكراد جيل من الفرس". ففي الواقع كل من الكورد والفرس شعب مستقل بذاته، وهما شقيقان تربطهما أواصر اللغة المتشابهة والتراث المشترك والتعايش الإجتماعي منذ ما قبل الميلااد. وكلا الشعبين

الكوردي والفارسي ينتميان الى العرق الآري. مامعناه ان الكورد ليسوا جيلاً من الفرس، بل يشتركون معهم في العرق واللغة المتشابهة والتراث والميتراثية والديانة الزرداشتية.

ج- ينقل الشيبلي بدقة وأمانة ما كتبته و ما كتبه غيري عن الحلاج، مراعيًا النصوص كما هي حتى تتوضح فكرة القاريء عن مقاصد وأفكار الكاتب والشعراء عبر العصور.

ثانياً: ص ٢٢١-٢٢٢: تحت عنوان (أ. برشك) وهو أحد أسمائي المستعارة، يخص الشيبلي فقرة عن من يكون (أ. برشك) فيذكر عنه أنه: شاعر كردي ينظم الشعر الحر بالعربية ولعل له أشعاراً بلغته الكردية). ويضيف الشيبلي قائلاً: أنه لايعرف عن كاتب هذه السطور شيئاً غير مقطوعة له بعنوان «نوروز» نورد منها، بعد، ما يصلح لهذا الكتاب. ويكشف عن كونه مؤمناً بقوميته وكذا بالأشراكية العلمية، وهو مزيج غريب من القومية والشيعوية ليس للعراقيين، على الخصوص، به عهد. أفكار (أ. برشك) قريبة من تلك التي ينادي بها فلك الدين الكاكائي، وما يتصل بربط الحلاج بالرجعة والمهدية وجعله معاداً لزردشت. (إنتهى الإقتباس).

ثم يورد الشيبلي نص قطعة بعنوان «صوت نوروز» كتبها: أ. برشك في جريدة التآخي البغدادية ليوم ١٩٧٣/٣/٢١ (يوم نوروز). ويشير الى خطأ نحوي لغوي وقعت فيه ويصحح الجملة.

ثالثاً: ص ٢٤٧-٢٥٢: ينشر الشيبلي تحت عنوان (فلك الدين الكاكائي) نبذة عن حياتي وافكاري، كما عرفها وفهمها هو، فيقول:

- ولد (أي الكاكائي) في سنة ١٩٤٤، في قرية صغيرة قرب كركوك وتعمل أسرته واقاربه في محطات السكك الحديدية. يدين هو وأهله بالتشيع الغالي وينتمون الى نحلة الكاكائية، وهي طريقة صوفية معروفة في شمال العراق تدين بافكار الفقوة الصوفية التي أستقرت في هذه البقاع من قديم. (وهو) شاعر كاتب بالعربية والكردية ويستمد أفكاره - بشأن الحلاج - من عقيدته الدينية. كانت له زاوية

ثابتة في جريدة التآخي بعنوان (حلّاجيات)، عبّر فيها عن أفكاره وتطلعاته السياسية والإجتماعية بإستعمال الحلاج وسيرته رمزاً ووسيلة ومنطلقاً وربطاً بين القديم والحديث (الحاضر) والمستقبل.

وفي الصفحات التالية من كتابه ينشر كامل الشيبّي نصوص كاملة عما تضمنتها زاوية «حلّاجيات» في الجريدة للأيام التالية: ١٩٦٧/٨/٣١، ١٩٦٧/٩/٣، ١٩٦٧/٩/٢٠، ١٩٦٧/٩/٢٦. (هذه النصوص منشورة في هذا الكتاب).

وبودي هنا ان أسجل ملاحظة هامة لصالح الباحث القدير الشيبّي الذي بحث في الأمور وسعى الى العثور على المعلومات ونقلها بأدق ما يمكن، وله العذر الأكبر لأن حياتي كانت مجهولة لديه ولدى معظم القراء أيضاً، ان كنت أتعمد في اخفائها لأسباب واسباب!

واستكمالاً وتصحيحاً لبعض المعلومات أقول:

أ - ولدت سنة ١٩٤٣ في منطقة كركوك، كما هو مسجل في دفتر النفوس، بينما زمن ميلادي الحقيقي كما قيل لي هو ١٩٤٤. ولا فرق عندي. ان لا يهمني أن ولد قبل قرن او في أية فترة.

ب - اقترب الشيبّي من الحقيقة عن المهنة العمالية (والفلاحية معاً) لأسرتي الفقيرة وكدحها.

ج - أما عن التشيع الغالي لطريقة الكاكائية (اهل الحق في ايران)، فهو خطأ شائع يتردد كثيراً.

إلا أن الشيبّي يقول الحقيقة حين يصف هذه الطريقة بأنها صوفية قديمة قريبة من أفكار الفقوة الصوفية (كذلك إخوان الصفا والقرمطية وفروع من الحركة العلوية... الخ!).

والكاكائية يختلفون عن الشيعة وعن السنة في تفاصيل معينة، إلا أنهم في الوقت ذاته أقتبسوا من هذين المذهبين الكبيرين وأستفادوا منهما، فيشتركون مع كل منهما في مشتركات وتشابهات كثيرة، فالكاكائية والعلويون وغيرهم يعيشون

في مجتمع اسلامي واحد فالتأثيرات بين المذاهب والطرق وفرق التصوف
الاسلامية متبادلة بشكل فعال ودائم.

فالكاكائية، بهذا المعنى، مسلمون، وتنص عدة دوائر للمعارف الاسلامية على
ان الكاكائية فرقة صوفية اسلامية. وبغية تقريب الفهم الى ذهن القاريء الكريم
اضيف القول ان الكاكائية يشتركون في تفاصيل كثيرة مع الطريقة النوربخشية
ونعمة الالهية في ايران من جهة ومع الطريقة البكتاشية (العلوية) والمولوية في
تركيا من جهة أخرى، كذلك يلتقون مع العديد من فرق التصوف في الهند
وباكستان ودول آسيا الوسطى وشمال أفريقيا... والبحث يطول. فأكتفي بالقول أن
جذور تراث الكاكائية بما فيه اللهجة الخاصة بهم، وهي كوردية اصيلة، تعود الى
التراث والثقافة الزرادشتية والديانات الأريائية الأخرى والى النزعة أو المدرسة
الإشراقية.

وأما التكتم الشديد للكاكائية حتى عهد قريب فيرجع الى الضغوط الإجتماعية
والمذهبية عليه فأبقوا عقيدتهم وطقوسهم في سرية مطلقة مثل العلويين والدروز
والإسماعيلية.

وبسبب هذا التكتم فقد اثار جيرانهم لغطاً مستمراً واتهامات وطعوناً بحقهم كما
أدى ذلك الى التشوش حتى على بعض أنصارهم وتضليلهم. إلا أن عصر العولمية
والتعددية وحرية التعبير وممارسة الشعائر والعبادات الدينية فتح عهداً جديداً
جعلهم مثل غيرهم ينفثون على العالم، وقد صدرت طوال القرن العشرين والقرن
الحالي دراسات وبحوث وكتب كثيرة عنهم سواء من المستشرقين أو كتاب وباحثة
بلدان المنطقة الشرق الأوسطية. وربما ان ما يطالب به العلويون في تركيا يتفق من
حيث الجوهر مع ما يطالب به الكاكائية.

د - لم أكتب الشعر باللغة الكوردية إلا نادراً وفي شبابي حيث كنت انظم الشعر
على الطريقة الكلاسيكية، ثم أقلعت عن ذلك حين رأيتني عاجزاً عن أن اصير
شاعراً.

أما كتاباتي باللغة العربية، خاصة «حلأجيات» فهي ليست شعراً حسب ظني،

ولم أحاول كتابة الشعر الحر بالعربية، وقد يكون الشيببي قد لاحظ بعض محاولاتي الشعرية من خلال هذه الكتابات، والتي أعتبرها عموماً من النثر الحر، الذي يحتمل ان يقترب من الشعر في بعض الأحيان.

فأنا لم أكن شاعراً ولست شاعراً، وأعتز غاية الاعتزاز بما كتبه عني كامل الشيببي، خاصة أنه هو الذي نيهني الى أهمية بعض كتاباتي في «حلّجات»، بل أكاد ان أقول ان الشيببي هو الذي عرفني على نفسي، وألهمني لإصدار هذا الكتاب والكتب الثلاثة الأخرى ضمن نفس النهج الحلّاجي.

الفصل السادس

كيف صرت حلاجياً؟

هذا هو التعبير المناسب، حسب دراسة كامل مصطفى الشبيبي، فهو يقول في صفحات عديدة أنه «ظهر حلاج جديد» أو «رزق الحلاج بنصير جديد» ويستخدم تعبير الحلاجيين، سيما وأن دائرة الأهتمام المذهبي والأدبي والشعري بماساة الحلاج وأفكاره قد زادت إتساعاً وعمقاً كلما مرّ الزمن. يصعب معرفة السرّ الكامن في بقاء ذكر الحلاج حياً في التاريخ، إذ ظلّ يلهم المتصوفة والشعراء حتى اليوم.

ولعل احد تفسيرات ذلك هو كون الحلاج قد عبّر عبر التضحية الشخصية وتراثه الملتهب عن أحاسيس وحاجات جميع المعارضين عبر التاريخ للأستبداد العقائدي والفكري. ووقف يندد بالتحجر العقلي للسلطة الدينية الموالية للسلطة السياسية، ولازال كثيرون في مجتمعاتنا بالشرق يعانون من محنة سطوة العقل الظلامي المغلق على حساب العقل العلمي والفلسفي. ولازالت الفلسفة ميداناً حراماً يحظرون الإقتراب منه. فالحلاج يمثل رمزاً لوثبة فكرية بوجه الوثنية الجديدة التي تلبس لبوس الدين تفسيرات بعض المفسرين، لذلك يظل الحلاج رمزاً للفكر الحر الوثاب الباحث عن الحقيقة فيما وراء ركाम الأباطيل والأكاذيب والخرافات التي يراد منها تضليل الناس بالتغطية على الحقائق العارية. لذلك مثلاً مازال علم الإجتماع «مشكوكاً فيه» في هذه المجتمعات الشرقية، لأنه علم يحرر الفكر ويفضح اسباب الإستبداد والبؤس والخرافات الإجتماعية والثقافية المتنكرة برداء الأفكار الدينية المقدسة.

ولا زالت سطوة امثال القاضي أبو عمر «الذي حكم على الحلاج» والوزير العباسي حامد والجلادين الذين نفذوا أوامرهم سطوة إجتماعية طاغية شبه شاملة حتى اليوم.

أنني أكاد، بذلك، أشرح بعض اسباب إندفاعي المفاجيء منذ سنة ١٩٦٧ نحو المدرسة الحلاجية. فقد كانت كلمات وحياة الحلاج منقذاً فكرياً وروحياً لي في فترة حرجة من حياتي.

كنا، نحن جيل ذلك العقد في الستينيات، نعيش فراغاً مخيفاً وقلقاً شديداً بعد أن بدأت الأيديولوجيات والرؤى الفلسفية السابقة بالإنبهار في أذهاننا.

أنا مثلاً كنت لحوالي سنتين شبه تائه. إذ كنت أشعر من أعماق وجداني أنني أريد شيئاً ما، لكنني لم أدري ماهو. كنت أشعر بالعطش إلى شيء ما، إلى فكرة، إلى نهج، إلى طريقة للتفكير تعينني على تحمل الوطأة الشديدة للفراغ والوحشية الروحية. كنت أطلع الكتب الماركسية والوجودية مثلما أقرأ التراث الإسلامي عامة والتراث الكوردي وكل ما يصلني من زاد فكري، بما في ذلك الروايات المترجمة والمجلات القديمة.

وكنت التقى بالمتصوفة وال دراويش وبكل من أتوسم فيه ضوءاً من معرفة وحكمة حتى ولو كان أمياً. بل كثيراً ما كنت أجد السلوى في النقاش والحوار مع أميين مستنيرين كانوا أوسع افقاً واغزر حكمة من المتعلمين. كنت رافضاً لنفسى وأرى أنني أسوأ الناس.

وتجمع حولي أصدقاء من قوميات واديان مختلفة ومن الديولوجيات سياسية متناقضة كنا نحترم التعددية والتنوع بشكل سري، أما أحزابنا التي كنا ننتمي إليها فلم تكن تلتقي بل تتحارب أحياناً.

كنا نلتقي دون تخطيط او ميعاد ومعنا صديق مولع بفتاة عجزية كان يعيشها الى حد الجنون، كانت تأتيه كل يوم وتزوره ونحن في مقهى صغير. كنت أحضر حفلات الطرب للفنانين واسهر واسكر أحياناً رغم أنه لم يكن ينسجم مع طبيعتي بالفطرة. وسرعان ما أفلعت عن ذلك. وصرت أرتاد المكتبة العامة الوحيدة في كركوك واستعير كتباً مختلفة العناوين والمحتويات دون أن أركز على موضوع معين. فقرأت في العلوم الطبيعية وعلم النفس والتصوف والشعر والأدب عامة ... حتى وقع نظري ذات يوم على ملخص لمأساة الحلاج وأفكاره، فأقذحت شرارة في

ذهني ... هذا هو مبتغاي اذن. فلأساهم في إعادة الحياة لتراث الحلاج! هكذا دون تفكير طويل.

وكنت قبل ذلك قد قرأت عن فلسفة الغزالي وابن عربي والحسن البصري ورابعة العدوية وبعض المتصوفة الكورد الذين كنت أطلع أشعارهم.

أما الحلاج فقد كان شيئاً مختلفاً تماماً، فقد تلخصت فيه إهتماماتي وتركزت فيه دائرة عقلي. هذا هو الذي غير التاريخ الفكري حسب قدرته وظروفه، وهذا هو الذي، بعد حوالي الف عام، لازالت أفكاره نضرة طرية وذكره حياً عبقاً وكأنه مازال مصلوباً في بغداد.

فأختلطت في ذهني وقلبي وضميري رؤى وأفكار الحلاج ومأساته مع مأساة الشعب ومعاناة أبنائه المعارضين وتعذيبهم و«صلبهم» كل يوم.

اذن، قد اتيح لي رمز وإطار لإطلاق حديث حر مناسب عن الحلاج والحرية والتطهير الروحي الذي أحسست ان الناس في القرن العشرين باتوا في حاجة ماسة إليه. وكلما لاحظت إبتعاد الناس عن المنبع الروحي في أعماقهم وغرهم في أوحال الخواء والظلام والغرور الأجوف كلما اشتد حماسي الذاتي لطلاق نهج حلاجي كان سيفيد المجتمع حسب تقديري منذ ذاك الوقت.

ولم يكن التلاقي بالتراث الحلاجي وليد صدفة طارئة او نتيجة بحث طويل في التصوف، بل كان الحلاج يعيش معي منذ الطفولة والصبا كان حاضراً إلا أنه غاب عني عدة سنوات.

فأسم الحلاج لم يكن غريباً عن حدود معرفتي. اذ أنني عشت منذ صغري في بيئة ممزوجة بالتصوف والإشراقية والحلاجية. فكان لنا تراث كوردي غني بذلك منذ مئات السنين. فأستمع مراراً إلى مأساة الحلاج بالكوردية أو مأساة مشابهة حصلت في حق شاب يدرس في الكتاتيب قبل ٤-٥ قرون فاهتدى إلى طريقة صوفية إشراقية ولم يحتمل حفظ هذا السر لنفسه بل اعلنه مما اثار الغضب والغیظ الشديد لدى أساتذته الذين حاولوا في البداية ثنيه عن التحول إلى الطريقة المذكورة، وحاوروه، إلا أنه رد عليهم بمنطق خاص به يبين بطلاق وهشاشة العقل

اللاهوتي الجامد الذي كان يحركهم فهددوه إن هو لم يتراجع. فلم ينفع ذلك. ثم لجأوا الى حيلة أخرى، فقد كان يحب فتاة جميلة حباً جمّاً، فاقنعوها كي تذهب لتجاوز حبيبها عسى أن يتراجع. وطال الحوار بين الحبيبين أنتهى بأن تمكن هو من إقناع حبيبته للانضمام اليه. وأنضمت فعلاً. وسقط في أيدي أساتذته الذين بدأوا هذه المرة بتهديد الفتاة التي زادت التصاقاً بأفكار حبيبها كلما أمعنوا في الضغط عليها. ثم حجزوها هي الأخرى وبدأوا يعذبونها في غرفة مجاورة لغرفة الحبيب. واستمر تعذيبها الشديد الذي كان يزيدهما أصراراً على التمسك بأفكار الطريقة الأشراقية التي جذبتهما، وصار في الكلمات القليلة التي يطلقونها يعبران عن الشوق الى لقاء المعشوق الحبيب، مرشدهما في الطريقة. ولما تعذر اللقاء في هذه الدنيا فالأجدر ان يتم في العالم الآخر الذي حلّ بموتهما التراجيدي تحت التعذيب الوحشي. لا يسع المجال لتلخيص الحوارات الشيقة التي دارت معهما، وبينهما. ومأساتهما كانت في ذهني مترسخة الى جانب مأساة الحلاج. لذا حلّ الحلاج في ذهني ووجداني بسرعة. حينذاك عثرت على ضالتي وعرفت ان طريق خلاصي هو التصوف والعرفان. ولم أنضم الى أي حلقات للصوفية، لم البس اريدية الدراويش ولم افصح عن السرّ الدفين الذي ألهمني إياه الحلاج، حتى بدأت أكتب بعد ان تحررت وأحسست أنني تخلصت من ثقل ثقيل فاتسعت في وجداني دائرة الضوء وصرت أعيش لحظة توهج، لذلك سميت عنوان هذا الكتاب (حلّاجيات، يقظة متوهجة في حضور الحلاج).

تمّ ذلك كله خلال سنة ١٩٦٦، فتبلورت عندي فكرة كتابة «حلّاجيات» وكتبت بعض القطع أو اللوحات منذ ١٩٦٦ إلا أنني لم أعتز على وسيلة للنشر، سواء في جريدة أو مجلة أو كتاب. وكانت حريات التعبير والصحافة محدودة جداً.

وكل شيء بدأ من كتابة لوحة بعنوان (على عتبة الموت) في حلقتين، نشرت فيما بعد في جريدة التآخي ١٩٦٧/٩/٢٨ و ١٩٦٧/٩/٢٩. فالتواريخ المسجلة مع كل لوحة أو قطعة هي تواريخ النشر في الجريدة وليست تواريخ الكتابة التي كانت تسبق النشر عادة.

لعله كان من حسن حظي، وليس عندي تفسير آخر. إذ صدرت جريدة التآخي في ٢٩ نيسان ١٩٦٧ وبدأت بالنشر فيها منذ عددها الثالث حتى أوائل سنة ١٩٧٤. فالجريدة صدرت كمطلب من القيادة الكوردية آنذاك، ضمن بنود اتفاقية للسلام مع بغداد، وكان نهجها هو الدفاع عن الحريات والديمقراطية وحقوق الكورد والشعب العراقي عامة.

إلا أنه مع نشرها لأولى حلقات «حلّجيات» احسست بحماية عناية غامضة ساعدت على صدور الجريدة والموافقة على نشر «حلّجيات» والذي اعجبني جداً أن الجريدة كانت تنشر لي نصاً دون أي حذف أو إختزال، تنشر هذه النصوص على ما فيها من شطحات وقفزات مرعبة أحياناً ونقداً لاذعاً للحياة الإجتماعية والسياسية آنذاك. فقد كنت اراعي مشاعر واذواق القراء والجريدة فانشر بين فترة وأخرى مقالات قصيرة في الإجتماع والسياسة والشؤون الثقافية مما زاد تعليق القراء بالزاوية.

وقد تعمدت عدم نشر عشرات القطع في هذا الكتاب إذ أبقيت قدر الامكان على النصوص القريبة اكثر من مدرسة الحلاج. وعلمت فيما بعد ان القراء بدأوا يتسيفون هذه الحلّجيات، مع انني كنت اخشى أن يضجر القراء ويملوا قراءتها لما فيها من تكرار للأفكار والجمل.

فأدركت ان كثيراً من الناس صاروا مثلي يعطشون إلى التطهير الروحي. وقال لي باحث في علم الإجتماع ان كتاباتي تغسل داخل القراء وتنظفهم وتدعوهم الى التأمل.

أما الشخص القديس الذي كان يدعمني فهو الشهيد صالح اليوسفي أول رئيس لتحرير التآخي. إذ علمت فيما بعد انه هو الذي أصر على نشر «حلّجيات» وأستمر في ذلك حتى النهاية رغم ما كان بعض المحررين يبذون من ملاحظات ودعوة لإيقاف نشرها.

وعلمت أيضاً ان الشهيد صالح اليوسفي كان شهيداً حياً، وكان صوفياً في ظاهره وباطنه، زاهداً في الحياة، يتأمل ساعات عديدة بعد أداء الصلاة، فكان

انساناً نقيماً مسالماً، مدافعاً عن السلام الداخلي والتعايش فيما يشبه رسالة اللاعنف التي نادى بها الزعيم الفيلسوف الهندي المهتما غاندي.

كان اليوسفي قديساً، ورعاً ومحباً للناس. ورغم كونه عضواً في أعلى قمة قيادية لحزب سياسي كبير (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) إلا أنه كان متواضعاً ورقيقاً حنوناً مع رفاقه وزملائه في العمل والمدينة كذلك في الجبل.

عاد اليوسفي الى بغداد بعد نكسة ١٩٧٥ وتخلّى عن العمل السياسي، إلا ان أجهزة النظام السابق قررت تصفيته الجسدية بإرسال طرد ملغوم إليه أنفجر بين يديه حال أستلامه للطرد في سنة ١٩٨٠.

أشعر أنه كان عليّ ذكر كل ذلك في معرض تقديمي لهذا الكتاب، وانني سأظل مدى العمر أشعر بالإمتنان للشهيد اليوسفي.

انني مازلت أحسُّ بمذاق اللحظات الأولى لوهج اليقظة الروحية سنة ١٩٦٦، وكان ذلك كفيلاً بازاحة جبال من الهموم والقلق والخوف. فقد تحررت وذقت حلاوة الحرية من الداخل، رغم انني، من الخارج، كنت أراني أسوأ الناس، ورغم ما تعرضت بعد ذلك لنكبات ونكسات إجتماعية مدمرة وتلطيخ للسمعة وابتعاد الناس عني في حين أنني كنت اواصل «الحلج» في صومعتي العجيبة. كان الثمن غالياً جداً، اذن...

واستسلمت للقدر واصبحت مؤمناً بأن الساعي إلى السمو الروحي لن يلقاه بسهولة، اذ كلما أقترب من المنبع زلت به قدمه وسقط. هكذا أيضاً تجربتي ... لقد سقطت مراراً، ونهضت. وكنت الود بالوهج المستنير في داخلي لأدراً عني ضغوط واثقال الخارج.

لم اصل بعد.

لكنني أهمس لكل من يبتغي سلوك هذا الطريق أن يجسد، قبل كل شيء، أمام ناظريه وخياله وعقله، مأساة الحلاج ... وليوازن نفسه مع حجم تلك المأساة، هل هو قادر فعلاً؟

رغم ذلك كله، ومع ما في هذا الطريق من صعوبات جمّة وكمائن وسقطات

رهيبة إلا أن التجربة تستحق ممارستها. فالأجدر هو المشي في الطريق مهما غلا الثمن حتى ولو كان السير بطيئاً ومتعثراً.
أن تمشي فيه لهو أفضل من أن تخشاه رغم الثمن^(١٤).

هوامش ومراجع التمهيد مع الفصول الستة:

- (١) تقول المصادر ان الصوفية المعروفة رابعة العدوية أيضاً قالت بشيء من هذا القبيل عن الحج في حال عدم الأماكن، إلا أنهم لم يقتلواها!
(٢) في هذا السطر والأسطر التي سبقت أستعنت بكتاب (الحلاج - حقائق التفسير)، كتبه محمود الهندي ضمن الأعمال الكاملة للحلاج، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م.
(٣) كامل مصطفى الشبيبي، الحلاج موضوعاً، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٦. وقد أستفدت من فقرات أخرى لهذا الكتاب في هذا التقديم.
(٤) المصدر السابق.

(٥) من الكتب الأخرى للشبيبي:

- أ- الصلة بين التشيع والتصوف ط١ بغداد ١٩٦٣ - ١٩٦٤. وطبع ونشر كذلك في القاهرة. وترجم الى الفارسية من قبل علي اكبر شهابي ١٩٧٥.
ب- الفكر الشيعي والنزاعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، بغداد، ١٩٦٦.
ج- ديوان ابو بكر الشبلي - جمع وتحقيق ومقدمة، بغداد ١٩٦٧.
د- الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر، بغداد ١٩٦٧.
هـ- ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون، منشورات الجامعة الليبية، ط، بيروت ١٩٧٢.
و- ديوان الحلاج - جمع وتحقيق، بغداد ١٩٧٤.
ز- شرح ديوان الحلاج - دراسة ونصوص وشرح، بيروت ١٩٧٤.
(٦) ص١٤٩ / المصدر السابق.
(٧) ص١٧٨ المصدر السابق.
(٨) ص٦٢ - ٦٣ / المصدر السابق.

- (٩) ص ٦٤ / المصدر السابق.
- (١٠) ص ٧١ / نفس المصدر.
- (١١) نفس المصدر.
- (١٢) صبور عبدالكريم حمه كريم، شخصية وأفكار الحلاج في أشعار (محوي) و (حافظ الشيرازي)، رسالة ماجستير - بغداد ٢٠٠٨.
- (١٣) المصدر السابق.
- (١٤) مصادر أخرى أستعنت بها:
- قاسم محمد عباس، هكذا تكلم الحلاج / النصوص الصوفية الكاملة، الناشر: دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩.
- د. سعدي ضناوي، ديوان الحلاج، جمع وتقديم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٣.
- علاء الدين سجادي، تاريخ الأدب الكوردي، باللغة الكوردية، بغداد، ١٩٥٢.
- د. أبراهيم أحمد شوان، التصوف، باللغة الكوردية، نشر مؤسسة موكريان، أربيل ٢٠٠١.
- د. أحمد الملا، محوي، باللغة الكوردية، نشر مؤسسة آراس، أربيل، ٢٠٠١.
- وكتب أخرى بالفارسية والكوردية عن التصوف.

ملاحظة:

واصلت الكتابة في ضوء النهج الحلاجي في السنوات التالية أيضاً، أي: منذ سنة ١٩٧٥ حتى وقت قريب من سنة ٢٠١٠. وسيضم الكتاب الرابع المعنون (لمن تتفتح الأزهار) بعض اللوحات والقطع القصيرة التي كتبتها سنة ٢٠٠٥ وسنة ٢٠١٠، أقدمها كنماذج.

وأضحت صورة الحلاج أعمق وأوسع معنى كلما مرّ الزمن، ودلّت الأحداث الدموية الرهيبة في بغداد خلال ٢٠٠٥-٢٠٠٦، التي أرتكبوا فيها مجازر فظيعة «متبادلة» بهدف التطهير العرقي والطائفي، على مغزى الحكم بقتل الحلاج قبل حوالي ألف عام. فبغداد كانت ترفض الإستماع الى صوت الحق

والعدل، وظلت تتمرد على نفسها - حتى وقت حديث-، وتنتحر ذاتياً في جنون
عبثي... فليس لي تفسير واضح مقنع عما يتوالى على بغداد عبر القرون، ولا
عن سبب هذا «الولع» بالتمير الذاتي. فهل الأجيال اللاحقة تدفع ثمن جريمة
إعدام الحلاج قبل عشرة قرون؟ أم أنه، كما قال الشاعر المعروف محمد مهدي
الجواهري في الأربعينيات من القرن العشرين:
أتعلم أم أنك لا تعلم بأن جراح الضحايا فم؟
... فمتى تلتئم جراح التاريخ؟ ومتى يستكين الوجدان وتختفي شهوة الإنتقام؟

القسم الثاني:
من نصوص "حلاجات"

الفصل الأول

حلّجيات

العدد (١٥٠) الخميس ٢٨ ايلول ١٩٦٧

على عتبة الموت:

١

في صبيحة هذا اليوم حيث ارتفعت الشمس - وأنا في خضم العمل - اشترقت اشراقاً بهياً، غريباً، وخلصتني اسير نحو عتبة الموت، خلّنتني أموت، وبدا لي الموت خلاصاً رائعاً.

تجلّت في أعماقي كوة كالنافذة، رحلت احملق من خلالها نحو العالم الرائع، نحو الوطن الحقيقي ما بعد الموت! وبدت لي الدنيا جديدة رائعة.

ما اسعدني ان أموت! لا بد أنني اظل أشعر بما يدور حولي بعد موتي ايضاً. ها انني، من تحت الواح التابوت أرى الناس يتبعونني وينتحبون، وهم يتأسفون ويتأففون، وما أدرهم ان سفرتي رائعة وسعيدة لا يدرون كم يلذ لي هذا الرحيل^(١)! ظلت هذه اللحظات السعيدة تحف بي مدة ساعات، لم اذق في حياتي لذة كهذه. انتشيت حتى الثمالة، وسكرت، ولأول مرة تبدو لي السماء جميلة جداً، بل واجمل ما رأيت في حياتي، السماء قطعة زرقاء، صافية، نقية، نقاء الروح الخالدة التي كشفت لي هذا الطريق الوضاء.

ما اعذب الموت! ما اسعدني حين يحملني الناس الى موطني الاول والحقيقي والخالد، ورأيتني احن، حنيناً حاراً طاغياً، وأضحى حنيني يتعاضم، ويبدو لي أن حنيني حقيقي الى موطني الحقيقي. فاشدد شعوري بالغيرة في العالم، والناس

(١) كانت لحظة متوهجة مازلت أسير في ضيائها، فقد أنتابني هذا الشعور المجهول فجأة ودفعني إلى هذا الإنجاب نحو الوجد الحلاجي منذ ذلك اليوم. (١٩٦٧) حتى الآن... وحتى مايشاء الوجد.

حولي يروحون ويغدون، ويواصلون حياتهم الضحلة، بدوا لي جميعهم كأشباح
تتحرك، عجباً! أما زلت اعامل العالم من خلال هؤلاء الناس؟!
لو تركوني لحظة ازداد نشوة في عالمي الجديد! لو طالت هذه الساعات اللذيذة
من الوجد! لا. لا. لا. لا تغربي عني ايتها الشمس الجديدة.
أيها الضياء الحنون. اغمر قلبي بحنانك ولا تفارقه، ولا تدع الظلمة تغمره من
جديد.

وحنيني يتعاضم الى الوطن، أريد أن أهرج عالم الغربية.
وروحى المتمردة الثائرة تستعجل الرحيل، واشتد إلحاحها حين لاحت لها آفاق
عالمها الحقيقي الخالد، وحين تذوقت قطرات من نبع الخلاص النهائي.
بدا لي انني مُتُ فعلاً، عجباً! كم تبدو الدنيا حلوة زاهية، الآن، بعد الموت!
خذني اليك ايها الموت الرحيم، ما دام ان خلاصي الأبدى يكمن فيك، ودع الناس
تتجمد الدموع في مآقيهم او تتلوى العذابات في أعماقهم، فما ذنبهم اذا كان
الضباب يغشي أبصارهم؟!

حلّجيات

العدد (١٥١) الجمعة ٢٩ ايلول ١٩٦٧

على عتبة الموت:

٢

ليست هذه هي المرة الأولى التي أعيش فيها مشاعر -على عتبة الموت- عشت دائماً عند حافة القبر، فكرت أكثر من عشر مرات في الموت، وناديته بإلحاح، وبعد كل تجربة كانت الحياة تبدو لي أحلى.. وأبهى.. وأجمل بل وقد هيئت - ذات مرة - كل شيء.. للرحلة الطويلة السعيدة.. الموت ولم تكن ارادتي هي التي خذلتني، ولا جبني ولا خوفاً من شيء، أو حزني على فقدان شيء.. بل ان ما كان يصد الموت عني هو دافع عميق يهتف بي ان اتمسك بالحياة مهما كلف هذا التمسك من عذاب وآلام ونزيف روحي. ويبدو لي ان عيشي ضروري ليس لي بنفسني، بل للآخرين.. فلم اقتطف شيئاً لحد الآن وفي هذه الحالة ايضاً يبدو انني اعيش من اجل الآخرين. لم اعش يوماً لنفسني. ولم تكن حياتي هبة لي تقبلتها بملء اختياري، ولم اختر الحياة بملء حريتي.. هناك ضغوط.. وضغوط ثقيلة وقاسية من الخارج ومن الداخل ترغمني على مواصلة العيش والتمسك بالحياة ورغم انني لم استكن يوماً واستسلم لوطأة هذه الضغوط إلا بعد عراق طويل بقيت فيه عنيداً صعب المراس لم تسعفني قواي لمغالبتها إلا نادراً.. فأراني اليوم تحشرنني الضغوط في زنازة مظلمة.. في زاوية حقيرة، وانا الذي اريد العيش للعالم كله.

عشت مراراً على حافة القبر على عتبة الموت.. وانفتحت امام ابواب العالم الحقيقي الخالد.. الموت.. أكثر من عشر مرات فلم اشعر -رغم ذلك- بالسعادة لرؤية ذلك العالم كما اشعر بها اليوم..

سعادتي طاغية أخشى ألا أتحملها وفرحي عميق يهزني، ونشوتي تكاد تطير بي الى عالم الجنون..

ايها الموت.. ايها الموطن الحقيقي خذني واحتضنني تحت جناحك واسقني
كؤوس النشوة الحقيقية، نشوة الروح.

الحنين يعاودني، ليقتلع جذور اعماقي المشدودة بالوحل القذر.. بهذا العالم
الغريب.. الحنين عاد يحرق احشائي ويذيب كياني ويثير روعي فيبعث فيها
التمرد.. ويبعث فيها حنيناً اشد الى عالمها الحقيقي.. جاءها الحنين ليطلقها من
الاسار.

وجسمي القذر يتلوى لأنه القيد الذي سيتحطم..
واضلعي المتأكلة تنهاوى ضلعاً فضلعاً.. ليتحرر حبي العظيم مع روعي من تلك
الزنزانة القذرة..

حلّجيات

العدد (١٢٥) الاحد ٣ ايلول ١٩٦٧

صوفي يبعث في عصر الذرة وغزو الفضاء..

لم لا؟ ها انني -انا الصوفي- ابعث حياً قوياً، عنيفاً، في هذا العصر، واقف على شفا الهاوية السحيقة امامكم هاتفاً:

- تريثوا، ستسقطون في الهاوية، ان لم تعلق بكم ارواحكم السامية، كما تعلق الصحة والرفاهية باجسامكم!

هذا العصر، هو العصر الحقيقي للصوفي الذي يرغب في الفناء في روح الحق الاعلى.

ألا تعرفونني -أنا الحلاج-؟ كنت اتقلب بين حياتين، وامزج بينهما^(١)! كنت خلال معركتي لإصلاحية ودعوتي الشعبية، اسلك طريقي الصوفي في عنف وقوة، لم لا؟؟ الصوفي يريد ان تتحكم روحه في جسمه، وعقله الواعي الصافي، في شهواته ونزواته الطائشة، أليس هذا هو ما يريده هذا العصر أكثر من أي عصر آخر؟؟

وكفاح المظلومين، ألا يحتاج الى رجال جبابرة، هانت عندهم اجسامهم ورخصت لديهم شهواتهم وإغراءات هذا العصر المترفت، فارتحلوا بعيداً عن المدينة الصاخبة ليحاربوا الظالمين، ويقودوا المظلومين في الاحراش والجبال هنا وهناك من وجه البسيطة!؟

ذاك اعظم صوفي في هذا العصر، اين لي كي التقى به لأحييه اعظم تحية!؟ فهو

(١) اشارة إلى ان الحلاج الصوفي كان مصلحاً إجتماعياً يدعو الى العدالة وإنصاف الفقراء والمعدمين، وهو الذي قاد أول مظاهرة شعبية للفقراء في بغداد قبل أكثر من ألف عام احتجاجاً على سوء أحوال الناس. وربما كان ذلك سبباً أساسياً لإعتقاله وقتله.

قد رخصت عنده حياته كلها، فترك كل شيء هائماً وراء صوت -الحق- الهادر في
اعماقه..

- انا الحق- ها انا ذا ابعث من جديد، لأدعو الى الحكمة والحق السمو بالروح
الى اسمى مدارج الجمال والكمال الروحيين.

لاستطيعون الحراك -ياقومي- وأرواحكم مكبلتة بقيود الحياة اليومية المترفة،
المتقلبة بالإغراءات والمفاسد والمزالق.

ولن تنالوا الخلاص الحقيقي إلا في ايدي رجال، يتصوفون، رجال يزهدون في
كل شيء، إلا الدفاع عن الحق، والكفاح من أجل -الحق- هنا، صوت الحق، فهل
تسمعون وتستمعون؟!!

حلّجيات

العدد (١٢٨) الأربعاء ٦ ايلول ١٩٦٧

٢

نوروز، عيد الحرية، والنار، والنور، والربيع

قبل آلاف السنين، اندلعت النيران واشتعلت المشاعل، على قمم الجبال وأعلن الكون: قتل -كاوه- الطاغية ضحاك، قتل -كاوه- الطاغية ضحاك..^(١)
ولد اليوم الجديد..

- ركعتان في العشق لا يصح وضوءهما الا بالدم^(٢)-. هكذا اجاب الحلّج أصدقاءه، حين اجتمعوا حوله -وهو مصلوب- توضاً بالدم المتدفق من رسغيه، ورقص قلبه فرحاً، ليستقبل - نوروزه^(٣) - بحرارة، انما هو احتفل بسفك دمه الطاهر النقي، و-كاوه- احتفل بسفك دم الطاغية الباغي..

همت في البراري، واعتزلت في صومعتي بجبال كوردستان الشاهقة. اختليت في خلوة مطمئنة، بعيداً عن اعين الخبثاء، الاعين الشريرة التي لاترى النور ابداً. هناك في صومعتي، تزورني الشمس كل يوم، فاستأنس بها، واتغذى بثمار الغابات، واخيز البلوط، خبزاً شهياً للصوفية.

وخرقتي -خرقة الصوفية- قد بليت، وأصابعي متشققة لأنني أفتت الصخور يومياً^(٤)، علني اشق دربي الى القمم العليا، أعلى، فأعلى..

(١) اشارة الى الاسطورة الكوردية القديمة عن الثورة على استبداد الملك الضحاك.

(٢) قول للحلاج بعد قطع بعض اطراف جسمه.

(٣) نوروز، هنا، يرمز الى عيد الخلاص والحرية.

(٤) المتصوفة والزهاد الذين يحتمون بالمغارات والجبال، بعيداً عن الناس، للأستغراق في التأمل الروحي غالباً ما يعملون بأيديهم لتهيئة أماكن الخلوة وإعداد مستلزمات العيش المتواضع حتى أقصى درجات الزهد والتقشف.

وهناك، من على ذرى الجبال الشامخة، ارنو الى الافق الشرقي، متى تشرق شمس
نوروزي؟
افتح باب صومعتي كل صباح، عل الشمس الحقيقية^(٥) تشرق يوماً، فأصلي
امامها ركعتين، متوضئاً بدمي المسفوك على حافات الصخور.

(٥) كناية عن الإستنارة الداخلية للإنسان (الإشراق).

حلّجيات

العدد (١٣٦) الخميس ١٤ ايلول ١٩٦٧

يقول اليافعي: الحلاج ثالث ثلاثة، أحبهم قوم فكفروا بحبهم وابغضهم قوم فكفروا ببعضهم، والاثنتان الآخران: عيسى بن مريم، وعلي بن ابي طالب.

وما يصير الانسان مبعثاً للحقد الشديد من قبل حاقيديه، وللحب العنيف من قبل محبيه، إلا بعد ان يصل حيث لارجعة له.. حيث يبلغ ذرى الكمال الخلقي، فيقف مدافعاً عن الحق موقفاً حدياً.. موقفاً لا يتزحزح عنه إلا بالموت. والاستشهاد.. والحلاج محبوب اعنف الحب.. وخالد في قلوب المدافعين عن الحق.. فهو الذي صرخ ملء بغداد: -انا الحق-. احرق الطغاة جثته المعذبة، وذروا رماده في الماء.. فشرّب منه تلاميذه متمثلين بقوله المشهور:

وما شرب العشاق إلا بقيتي

وما وردوا في الحب إلا على وردي.

فقليل: مشايخ العراق كانوا في زمن الحلاج لأنهم شربوا الماء الذي احتوى رماده بعد حرقه^(١)..

ايتها النار الطاهرة المقدسة! ما اجملك حين تلتهمين العظام الفانية فتصير رماداً.. رماداً تذروه الرياح على الأرض.. فيصير سماداً يمنح الخصب والبركة والربيع للبساتين.. والزراع.. والانسان.. فتنبت آلاف الاشجار السامقات.. تلك هي أروع آيات جلال التضحية في سبيل الحق.. والفناء فيه.. فاحرقيني.. ايتها النار الطاهرة. يا قيسة من شمس الحق^(٢)!

(١) منذ غيابي عن بغداد عام ١٩٧٤ عدت إليها عام ٢٠٠٣، وكتبت عام ٢٠٠٥: عدت فلم أرفي بغداد سوى الحلاج مصلوباً، ليس في بغداد غير الحلاج! كتبت ذلك في لوحتين، ايضاً، في الجريدة ذاتها التي بدأت فيها سفري مع الحلاج عام ١٩٦٧.
(٢) والآن (٢٠١٠) ما زلت أشعر بوطأة الأسي والألم من ان الحلاج لا يزال مصلوباً في =

متى تفرغ بغداد من الوزير حامد والقاضي أبو عمر والمأمورين الأشداء؟ متى تترتاح الأرض للماشين عليها وهم في إطمئنان؟

- ماتزال غاية أمانينا ان نمشي على الأرض مطمئنين (اجبت عشية عام ١٩٧٤ على سؤال صحفي لي عما أتمناه في العام الميلادي الجديد. فقلت: أتمنى أن أمشي مطمئناً. ومازلت ... / راجع عدد التآخي عشية ١٩٧٤).

- ولعل د. الشيبلي ركز على فكرة (الحلاج المصلوب حتى الآن)، من باب ادانته غير المباشرة للنظام السياسي القاسي آنذاك، والذي كان يبديد معارضيه بالجملة ولايتورع عن نصب عشرات المشانق وتعليق جثث الضحايا في الشوارع العامة امام الناس، وهو امر مكروه ومقيت من مختلف الأوجه الاجتماعية والشرعية والوجدانية والقانونية.

وكان تعبيره عن الحلاج في هذه اللوحة هو بالذات بهدف إدانة وفضح تلك الجرائم التي بدأت خاصة منذ سنة ١٩٦٣. وشهدت المدن العراقية مذ ذاك مشاهد بشعة لتعذيب وتصفية المعارضين بالجملة وإخفاء مصير البعض حتى الآن.

= بغداد، فمتى ينزلونه من الصليب قبل أن يُغرق الطوفان بغداد؟ فقد ولد آلاف الحلاجين منذ قرون، وما فتىء الجلاذون يبطشون بهم، ولا أدري متى يتعب الجلاذون ويستسلمون؟

حلّجيات

العدد (١٤١) الثلاثاء ١٩ أيلول ١٩٦٧

الف صومعة، تهجع هناك، على سفوح الجبال الراسيات، والصوفية المتعبدون
يتوضؤون بالينابيع النقية، ليسجدوا مصلين أمام شمس نوروز.
صومعتي صغيرة، تظللها أغصان البلوط والرمان والتوت، وفي زاوية من
السقف يعشعش السنونو، وعند الصخرة الصلدة يعيش معشر من النمل.
السماء الزرقاء تصفع عيني كل صباح، وقلبي يمضي منشداً مواجهده،
وجوارحي ترتعش حرقة وشوقاً ملهياً الى رؤية وجه الشمس.
بعد عشر سنين من إلتبتل وتطهير النفس من الصفات البشرية، عادت الأوساخ
من جديد لتوصد أبواب ادراكي، وخيمت الظلمة على بصري الحقيقي^(١).
ما اشد عذابي! اباالعذاب وحده تتطهر الروح؟ ان كان كذلك، فسأظل أفتت
الصخور بأناملي، وأسير حافياً على سفح الجبل الصامد الشاهق، حتى تتشقق
قدماي وتدميان، فتكتسي الصخور ثوباً قرمزيّاً زاهياً، وسأطوي بطني على الجوع
الرهيّب القاتل ريثما تموت كافة الديدان والجراثيم التي تتطفل على ما اتناوله،
وسأترك العطش المحرق يلهب امعائي ريثما يجف ريقها، ويكف لعابي عن
السيلان امام مغريات العصر، وسأفقا عيني ان غلبهما النعاس، وسأجلس ساهراً
ليل نهار حتى استهلك حياتي كلها، وسأقطع اذني ان اخلدتا الى الغفلة لحظة،
ففاتهما سماع نشيد فجر -نوروز- وسأدع جسمي يخشوشن فالروح لن تتطهر
وترق وتحرر إلا في الجسم الخشن الذي عذبتة القسوة القاسية بلا رحمة.
حينذاك اهبط من السفح الى الوادي، الى اغوار الدنيا السحيقة لأخاطب هؤلاء
النائمين، الهاجعين عند السهل، ان افيقوا، ولا تغتروا بما تقومون به، فحركتكم

(١) حصل ذلك تماماً فيما بعد... وبالكاد عثرت على طريق للعودة إلى حضور الحلاج...
وسأكون محكوماً بالحلج مادمت حياً حسب المعيار الفيزيقي.

قعوداً وقياماً مجيئاً وذهاباً ليس إلا نذبذبة أجسام خاملة بلا أرواح، وأرواحكم
ميّنة حبيسة، مصلوبة تحت اضلع صدوركم المتعفنة.
حينذاك أهبط الى السهل، وأرقص للشمس بفرح شديد حتى أستهلك ذاتي.

حلاّجيات

العدد (١٤٢) الاربعاء ٢٠ ايلول ١٩٦٧

لكل عصر رجاله من الصوفية الاتقياء، رجال معادنهم صلبة، اصيلة، من منابت الحق والجمال.

ويبعث الحلاج، طويلاً اسمر مهيب الطلعة، في قلب بغداد، هذا العصر، ويقف عند أرصفة الشوارع لينادي: -انا الحق-.

والحق، مصلوب، على قارعة كل طريق، وكل عمود اضحى مذبحاً للحق الذبيح^(١)، والحلاج يتلوى في دروب حياتنا الملتوية وينادي -الحق- ويصرخ، فهل تعيد بغداد مسرحية الزمان، فتصلب - الحق - عند ضفة دجلة؟! وهو مصلوب، مصلوب منذ الف سنة، منذ الف سنة، منذ آلاف السنين، وسكاكين الجزارين تعمل فيه قطعاً وتشويهاً، وهو يموت فيحيا من جديد، يموت ويحيا من جديد، يفني ويبعث من العدم من جديد.

آه، لثقل الحق الثقيل، كيف تستطيع بغداد الهزيلة ان تتحمل حملة ميتاً، وهو لا يقوى على إبقائه حياً؟!!

الحق خفيف ان يكون حياً، بل هو الذي يحمل الحياة، ويطيّر بها في فضاء السعادة والطمأنينة، اما الحق -المخنوق- فنثقل ثقيل يحطم اقوى الاعناق! فمن يستطيع ان يقول: -انا الذي قتلت الحق؟-

(١) في كتابة (الحلاج موضوعاً)، الصادر في بغداد عام ١٩٧٦، استشهد المفكر الراحل د. مصطفى الشبيبي استاذ الفلسفة بفقرات من هذه اللوحة وهو يتحدث عنّي وعن هذه اللوحات النثرية باسم (حلاّجيات)، وقدم تحليلات شيقة عنها، أذهلتني. ويبدو ان الأستاذ الشبيبي قد راقته فكرة ان الحلاج لازال مصلوباً في بغداد، وهو في هذا يرمز إلى مايعنيه آنذاك عام ١٩٧٦. فهي إلتفاته بارعة ذكية منه. ومعلوم ان الحلاج رمز للحق في تراث بغداد.

ها هو الحلاج، يبعث اليوم من بين دوارس بغداد، ويهتف: اتصلبوني من جديد؟
هو ذا العصر الحقيقي للصوفية والتصوف، فإنما الحياة الدنيا قد انحطت
وسفلت حتى أضحت وحلاً قذراً، والصوفي المتحرر من أدران هذه الاووال، هو
الرجل الذي يقود الآخرين نحو ضفة الأمان، والطهارة.
يا لقذارة حياتنا!

حلّجيات

العدد (١٤٣) الخميس ٢١ ايلول ١٩٦٧

ما احلى اليوم الممطر، حين تشرق الشمس ملء الكون مباشرةً بعد توقف هطول المطر، وانقشاع الغيوم عن وجه السماء الزرقاء الدافئة!

هكذا يلوح لي ذلك الشعاع الباهت الذي اضحى يتوهج شيئاً فشيئاً في اعماقي، ويثبت في كل خلية من خلايا جسمي حيوية جديدة وشاحاً روحياً عظيماً ورؤية جديدة بكل ما يحيط بي.

ما أجمل الكون حقاً^(١)! لم اكن أدرك وأتذوق هذا الجمال من قبل. ما أحلى مذاق هذه الرؤية السعيدة! الفرحة يوجس بأعماقي.. ويعرس بميلاد الشمس الجديدة في قلبي.

الانسان الجديد يولد في نفسي، وجلدي المسخ القذر يتشقق ويسقط في الوحل، ويثبت الجلد الطاهر الجديد ليكسو احشائي.

ويظل دربي - مع ذلك - شاقاً.. شائكاً، فالانسان الجديد يلزمه غذاء يومي مستمر، الصدق.. الصدق!

يلزمني ان أكون صادقاً مع نفسي حتى النهاية. ولهذا ألسبب ذاته وجدتني اخوض حرباً ضروس ضد صفاتي الدنيوية.. ورأيت بأن الصدق مع الآخرين لايتوفر إلا من خلال الصدق مع نفسي.

انظّل نتهم الناس ونحن متهمون او نمدحهم ونحن موقنون أننا نكذب؟ ونقول: - نعم، لما يجب ان نقول: لا، ونحنني امام من يجب ان نحطمه، ونصغي الى من

(١) لم يغب جمال الكون لحظة... جمال كافة أشياء وكائنات واللوان الوجود، الذي هو جميل بالفطرة، يدرك لإنسان روعة هذا الجمال حين يحرر (أو ينظف) بصيرته من دخان وضباب وغبار العلاقات وأوزارها. بهذا الجمال، والشعور بالجمال، احيا... وأحسب أنه إدراك السائرين في هذا الطريق.

يجب ان نخنق صوته؟!؟

عالمنا الكاذب، يخدعنا في كل محطة.. فما اثقل الثقل الذي يئن تحته حامل الحق. إذ عليه في كل لحظة ان يُبددَ عن بصره ضباب الخداع.. وان تظل سكّينه ساهرة في يده ليقتل كل حشرة قذرة تحط على قلبه تتطفل وتعتاش.. ويقطع جذور أية ادغال تقطع عليه الطريق.

لهذا اجدني غريباً في العالم حيث الآخرون يعصبون أعينهم بأغشية الخداع ويتطفلون على أرواحهم، كالعلق! فيخدعون أنفسهم.. وكل الناس خادعون! ومن يخدع الآخرين يخدع نفسه قبل أي انسان آخر.

فمن يقوى على الصدق في عالم يجلس على قرن الكذب؟

أنا الحق!.. أشهر الصدق سيفاً ضد نفسي أولاً. واغتال اي مارذ للخداع يغزو

روحي.

روحي الحبيسة تتململ.. وتثور للتحرر من أسار قيودها.

وجسمي المتعفن.. كالهياكل المتأكلة، يهتز بعنف أمام تمرد روعي المضطربة ومن بين الضباب يشق ضياء الصدق دربه ليهدي روعي الى درب الحرية الابدية..

انا الحق! استغيث. ضباب الخداع يخنقني.. ولهيب الصدق يحرقني. فالنجدة،

النجدة!

حلّجيات

العدد (١٣٤) الثلاثاء ١٢ ايلول ١٩٦٧

لا تحزني من أجل ذلك - يا ابنتي - .. دعيهم يقولون عني:

- هوذا.. مجنون جديد.. ينشر بين الناس طلاس مجنونه!

هذا الاتهام.. بلسم ينزل على قلبي كالماء المثلج.. أتدريين أنه أولى درجات السلم في الصعود الى عالم الحق الوضاء؟.. وهل استثنى الناس عاشقاً من الإتهام بالجنون؟؟

انا عاشق.. ثمل؟ انتشتت روعي بجرعة من خمرة الحب.. حب الله.. وجمال الحق.. العالم يسبح في بحر من الخمر.. والناس يعيون منه؟ ويشربون فلا يرتوون.. وتظل أرواحهم عطشى ابدأ.. اتدريين ماذا يعلمون؟؟ حين مات الحق في قلوبهم.. ادعوا بأن -الضمير- هو الوليد الجديد فيهم. ومن هو الضمير ان لم يكن هو الحق نفسه؟ ولما مات هذا الوليد الجديد عطشاً لأن قلوبهم صحارى جدياء.. راحت ارواحهم تستغيث من العطش.. فترينهم اليوم يلجأون الى الخمر وفنون المخدرات، عقاقير وخذع نفسية.. فلا ترتوي منهم الأرواح.

أليس ذلك ضعفاً.. بل ومنتهى الضعف الروحي للبشرية؟؟

أنا ايضاً سكير بين هؤلاء الناس السكارى.. انا لم أشرب الخمر، ولم أتناول المخدر.. حين تعطش روعي، اختلى في صومعتي وأناجي الحق.. وأوقظ ضميري.. وأوجه بصري نحو اعماقي السحيقة.. وابادل حبيبي لواعج الغرام.. فأسكر لحظة فلحظة.. وانتشي في غيبوبة وجدي وهيامي، فيحضرني حبيبي، ويطير بي في العوالم الواسعة، بعيداً عن هذا البحر القذر للخمر والسكارى السابحين فيه.. وهناك اختفي في عالم العدم، ولا تبقى سوى روعي ترقص جلاً امام عرش الحق.. وتنشد نشيده الازلي..

والناس الذين يسبحون في بحور التخدير الروحي الكاذب، تتسخ أجسامهم

وقلوبهم.. أما أنا فإن قلبي يتطهر وكذلك جسمي حين أسبح في نور ذلك العالم
العلوي البهيج..

دعيهم - يا ابنتي - يتهمونني بما يتهمون تحت تأثير التخدير.. ويغرقون
أرواحهم في الأوحال القذرة.. يقولون عني مجنوناً وأنا عاشق أحترق شوقاً الى
حبيبي الحق؟

«لي الحبيب حبه وسط الحشا

لويشا يمشي على قلبي مشا

روحه روحي وروحي روحه

ان يشا شئت وان شئت، يشا».

انا الحق!.. أفناني الحق في ذاته: فلم اعد ابصر سواه وانا اسبح في هذا العالم
العلوي..

أنا المجنون.. العاشق.. أسبح في لهيب الشوق، وأعانق ألسنة اللهب..

حلّجيات

العدد (١٤٩) الاربعاء ٢٧ ايلول ١٩٦٧

جعل الصوفية من الحلاج أعظم شهدائهم، فهو شهيد -الحق- وشهيد الحب والهيّام
-بالحق- وبجلال الله وحده.

اكتفي غيره من الصوفية بإكتشاف -الحق- ورؤيته، وحينما انجلي -الحق-
للحلاج، ماجت به السفينة وتملمت فأنفجر ساخطاً على فساد الدنيا، ولم يستطع
كتمان سرّ الحق، بل انطلق يدوي معلناً ما بلغه بالحب، والحب السامي الأعظم
وحده، وهو يقول:

الحب مادام مكتوماً على خطرٍ وغاية الأمان ان تدنو من الحذر

واطيب الحب ما تم الحديث به كالنار لم تؤت نفعاً وهي في الحجر

فانبرى يعلن -الحق- للناس، ويندد بفساد الحاكمين، ويدعو الى عدالة حقيقية
أساسها المتين: الحب الأعظم للحق، فحصد الحكام الطغاة فأمسى شهيداً للثورة،
بعد ان اضحى شهيد حبه منذ تساميه الى معراج الروحي العالي.

فهو الشهيد الحقيقي، شهيد كماله الروحي، وسموه العقلي، وروحه الثورية، وهو
يقول بكل جارحة من جوارحه، وبكل كلمة من كلماته، ان انجلاء -الحق- وحده
لا يكفي لكي يصل -الصوفي- الى المعراج الروحي الحقيقي، ما لم يختتم حياته
وجهاهه بالتضحية.. بالإستشهاد.

ايه! يا روعي العطشى، المثقلة بالهموم والاعمال، وضباب أوهام الايام، يا
روحي المعذبة احترقي في لهيب الحب العنيف، وافني في الحق، كي ينجلي لك
الحق ساطعاً في ضباب هذا الفجر المظلم، حيث السماء تغطيها الغيوم الداكنات.

لا أطيع الصبر على كتمان ثورتك، يا روعي المكبلة بزنانة الظلمة، فانطلق
ولو التهمك الحريق خارج اضلعي المتعفنة!

الفصل الثاني

حلّجيات

العدد (٢٩٥) الاثنين ٢٤ حزيران ١٩٦٨

يذرعون ارض اللهب.. يمتصون رحيق الموت حتى الثمالة. ما أروع الموت! ها انا
ذا أعيش على عتبة الموت من جديد..

أعرس بالبعث (الانبعاث) في فجر ندي رائع.. موتي هو بعثي الجديد.. أنزع
جلدي القذر..

ينزع الجميع جلودهم الجرباء، ويُطهرون أرواحهم، لذلك يطأون اللهب.
ذات هو... يعرس في اعماق الزنزانة.. كي يغرس في الأرض شتلاً جديداً.. قبسة
من لهب.

يا ارضي المحروقة.. يا معبدي!

الجميع يعرسون اعراسهم الدامية.. ويمدون موائد الموت، ويشربون الشمس..
ما احلى مذاق الشمس! تحرق الأعماق الشائكة.. والأدغال وحشرات الأرض..
ما اعذب الحريق..

طير الكناري يرفرف مشتعل الجناحين.. اسراب القطى تهدر حول الغدير.. النسر
رابض فوق الأكمة، ينتظر الفريسة..

الاسد لا يعدم فريسته اينما حل. وبنات آوى تعوي في الاحراش في غياب الاسد..
تتوهم أنها: ملك الغابات!

نعيق الغراب مزعج.. ورغم ذاك فهو الطير المغرد الوحيد على الأرض -الغراب..
لم يولد عصر توضح فيه الحق وانجلي كما هو في هذا العصر المضيء.. ورغم
ذاك لم يختنق الحق يوماً اختناقاً هذا اليوم.

ضياء الحق الكشاف هتك مئات الحجب المظلمة السميقة، وهاهو الحق يعرس،

راقصاً جذلاً في اللهب.. ورغم ذلك فهو سجين..
يرقد صديقهُ في سجنه.. وخلف زنزانته جدث (جيفارا).. ومئات العشاق
الآخرين. قالت أمه: ان قضيتك تشغل بال العالم كله..
رداً: ان سجنى مهزلة.. يا أماه!
مهزلة العصر بلا حدود.. محمود درويش^(١) (وقبعة).. وآخرون أيضاً.. يعرضون
في الزنانات. العالم يتحزم بالدم واللهب.

(١) من الشعراء المعتقلين أو المطاردين آنذاك.

حلّاجيات

العدد (٢٩٨) الخميس ٢٧ حزيران ١٩٦٨

كيف اتخلى عن العالم الوردى الذي استشفه خلف الحجاب الشفاف للحب؟؟

يريدون منى ان اغمض عيني، واقتل عالمي الوردى..

يطلبونني بقسوة: غير اسمك! اشتم نفسك!

ارد على الجلادين: لن افعل.. انا الحلّاج^(١)، سأظل احلج نفسي ليزداد العالم
تورداً واشراقاً، وسأظل احلجكم ايضاً..

يشدد عليّ التعذيب.. واشتد انا صموداً على صمود.. كيف اغير اسمي؟ فأنا
الحلّاج. وكيف اشتم نفسي؟ كيف أتبرا من قلبي؟ كيف ألوث عالمي الوردى الذي
ولد بعد حلج عنيف من الاعماق؟

تنزع الحية جلدها كل سنة لترتدي جلداً جديداً.. فيقولون: انها خالدة.

ليعذبوني.. اذن.. وليتمزق جلدي ويتهراً، وينسلخ، سألبس جلداً طاهراً جديداً،
وكلما عذبوني اشد واقسى سارع فجر تحرري بالبزوغ.

علقوني من رجلي الى السقف وتدلّى رأسي الى اسفل.. غامت الدنيا في عيني،
وملكني الغثيان، هتف بي الانسان الآخر في الداخل:

- افرح.. هذه هي عتبة محراب الحق!

كنت عارياً تماماً.. انهالت عليّ الاسواط، حتى تحطمت جميعها، وشعرت بالدم
يتسلل الى شفتي، وينهال على بلاط الغرفة قطرة قطرة.. واكتست عيني بلون الدم.
العالم الوردى ازداد اشراقاً، وكلما ارنو اليه، تهون عذابات الدنيا كلها على

(١) في هذه الفترة كنت أكتب كلماتي بتوقيع (الحلّاج)، وكنت أمزج مأساة الحلّاج بما
كان يلقاه بعض المعتقلين آنذاك من تعذيب. وكنت بهذه الكتابة الرمزية المكثفة أنقل
إحتجاجات الأحرار (وهي تنشر علناً).

صدري، وابتسمت للعالم المشرق، وقلت للجزارين:

– اسرعوا! اسرعوا! دعوني التحق بالأحبة الآن.. الآن وليس غداً!

زعق ادهم:

– تيراً.. تيراً من اسمك.. وانزع قلبك ومزقه.

ابتسمت له ابتسامة رقيقة:

– خذ..

القيت اليه بالقطعة الباقية من القذارة التي لم تنزل بأعمامي، فاشتد العالم
الوردي توهجاً.

حلّجيات

العدد (٢٩٩) الجمعة ٢٨ حزيران ١٩٦٨

لم ازل معلقاً الى السقف ورأسي يتدلى نحو الأرض الدامية، ونشيدي منذ الفجر هو:

- انا الحق!

العالم الوردي يتراقص امام عيني، جميلاً ساحراً.. لن اتخطى عنه ابداً.

جاء جزار بآلة جديدة^(١).. وصرخ:

تم دعوني! سأعلمه انا، كيف ينكر نفسه؟

انتزع قطعة كبيرة من اللحم تحت قدمي وقدمه لي:

- ما هذا؟

- قطعة من اللحم القذرا!

- صه..! يا زنديق..^(٢)

صاح بالآخرين: اين الموقد؟؟

جاؤوه به وقال: دعوا اللحم هذا يشوي تماماً.

لم اشم يوماً رائحة كهذه الرائحة. زكية، بهيجة دغدغت خياشيمي وبعثت النشوة

في دماغي سألتهم:

(١) اشارة إلى خوفنا آنذاك من احتمالات إتساع أساليب التعذيب بحق المعارضين

المعتقلين في الزنزانات. فقد انتشرت أنباء ارسال النظام لزمالات «للتدريب على

التعذيب» في بعض دول اوروبا. كان ذلك بداية زحف ليالي التعذيب والقتل الطويلة

التي عمّت العراق بعد تموز ١٩٦٨ حتى عام ٢٠٠٣. كنا نتحسس بشدة باقتراب حلول

هذا الظلام الكئيب. فقد استمعت طويلاً الى هواجس بعض الرفاق من أقتراب زحف

هذا الظلام علينا.

(٢) اتهموا الحلاج بالكفر والزندقة.

- ما هذا العطر الذي يذوق يا اصحابي؟

قدم الجزار قطعة اللحم المشوية على صحن صغير:

- هذا هو لحمك، كل.

كنت جائعاً فالتهمته دفعة واحدة. كان شهياً جداً. وملكتني الحيرة والاضطراب هنا فقط.. اذ كنت اخال لحمي قذراً، لكن رائحته اثناء الشوي، كانت معطرة، وطعمها شهياً لم اذق مثله يوماً..

هتف بي الانسان الآخر من الداخل:

- حين يكون القلب طاهراً، يكون اللحم والدم ايضاً طاهرين.

توهج العالم الوردي اشد فأشد، وانتشيت بخمرة هذا الوصال غير المنتظر، خلتنى افتح ذراعي لأحتضنه..

قدموا لي صحناً مليئاً باللحم المشوي ولم اشعر، من أي عضو من اعضائي انتزعوه؟؟ كنت غريباً في عالمي الوردي من النشوة.

حلّجيات

العدد (٣٠٢) الاثنين ١ تموز ١٩٦٨

سحبوني مضرجاً بالدم، بنفائيات الأورام.. تقيحت جروحي، وثمة جرح عميق في صدري يعوي المأ..

جاءني الجزائريون، وقال احدهم:

تم لم يبق فيه غير نبضات القلب. كان العالم الوردي في هذه اللحظة يشع ضياءً حنوناً.

قال كبيرهم: علقوه من اذنيه. رفعتني اثنان بموازاة الحائط القذر المدمى، ودقوا مسماراً طويلاً في اذني اليسرى، وآخر في اليمنى.. وسرت في جسمي رعدة من الألم..^(١)

قالوا: هه! ماذا تقول الآن؟ انتكلم؟

تحرك لساني ببطء وهمست:

- انا حلاج.. لم ازل احلج نفسي، عذبوني.. واحلجوني لتتطهر روحي وتسمو. وانا حلاج.. وسأسمي كذلك الى الابد.

زمر الجزائريون غضباً وحنقاً.. قال كبيرهم:

- اقتلوه!

طافت برأسي افكار غزيرة معقدة وتالتت مسرعة كالشريط السينمائي.. اصدقائي.. احبتي.. آمالي.. حياتي، يوم في الربيع، يوم مشمس عشته في سعادة.. لم ازل في بدء الطريق، أطفال الصغار ينتظرون كل ظهر.. أمهم الحنون.. ايام الحب، ذكريات ثارت كالبراكين، وارتسمت في النهاية لافتة: القتل.. الموت.

(١) لم أفهم حتى الآن منشأ هذه الهواجس التي كانت تتناوبنا والتي أصبحت حقيقة خلال السنوات التالية.

غمرتني نشوة سعادة غامرة محت كل شيء على شاشة ذهني المضطرب، حين
اشرق العالم الوردي، وسرى في جسمي دفؤه وحنانه..

زدني نوراً يا الهي! زدني شوقاً الى الحق.. احرقني في لهيب هذا العالم المشرق
المضيء..

تلاشى كل شيء، رويداً فرويداً.. ولم تبق سوى اشارات فقط مضيئة في درب
طويل مظلم يفضي في النهاية الى عالم وردي مشرق.. احسست بي اسير بلا قدم،
محمولاً بلا جسم.. روعي فقط كانت تطير.. وهاجرت.. بلا ضجة، بلا صخب.. بلا
الم..

جفلت فجأة. لم ازل معلقاً الى السقف برجلي.

حلّجيات

العدد (٣٠٣) الثلاثاء ٢ تموز ١٩٦٨

خالوني ميتاً، ربطوا كاحلي بحبل وراء العربة العتيقة، وسحبوني سحلاً على الدرب
الترابي الوعر.

رغم العجاج، وآلام رأسي المرتطم بالصخور، كنت المح صوراً زاهية للعالم الذي
حرمت منه منذ زمن. لمحت راعية صغيرة مع قطع من الخرفان في حقل اخضر،
وقبرة واقفة في السماء ترفرف مفردة.. وغراباً ينعق، وصهيل خيل.. خريز نهر..
حقول خضراء واسعة.. قوافل المهاجرين بدوابهم.. الفتيات يجمعن الحطب، تذكرت
حياتي القصيرة.. شبابي.. حبي، اطفالي، احبتي..

لمست رأسي، اذناي ضاعتا.. بأية صخرة تعلقنا؟؟ انسلخ جلد رأسي تماماً، وعند
منعطف حاد، انفصل رأسي ايضاً وتدرج من الدرب الى جدول صغير يتلوى عبر
الحقول الخضراء.. تقطعت اشلائي. انفصلت يدي اليسرى ايضاً، فاليمنى.. سقطت
ضلوعي واحداً واحداً..

خرج قلبي ومعدتي، واختلطت احشائي ببعضها، وتعلق قلبي بغصن من اشواك
العليق، لم يجرؤ الكلب - حارس الراعية الصغيرة -، الوصول اليه، كانت الاشواك توخره.
رجلاي وحدهما، بقيتا مشدودتين الى العربة المهرولة. تعطلت عند ساقية
صغيرة، وحين نزل الجزائريون يتفقدونني، لم يروا سوى الحبل والكاحلين والرجلين..
عادوا يجمعون اشلائي المتناثرة، ولم يعثروا على قلبي الدامي الذي ظل يغني
هناك للشمس، مع القبرة المفردة.. قلبي وحده تمرد على الجزائريين، ولم يستسلم.
كوموا اشلائي في كيس، وحملوه الى المدينة..

قال كبيرهم: ماذا حل بالحلاج؟

تم هاهو متكور في الكيس. قلبه تمرد في الطريق وهرب من بين ضلوعه.

زمر الجزائريون: صبوا عليه الزيت واشعلوا فيه النار..

حلّجيات

العدد (٣٠٥) الخميس ٤ تموز ١٩٦٨

فركت عيني، وحدقت حولي بصعوبة. حفاروا القبور غادروا المقبرة لتوهم. تلملت وازحت التراب عن جثتي المتعفنة، وجمعت اطراف كفني الممزق، ونهضت أسير نحو المدينة.

امسك بي الجزارون من جديد واقتادوني الى كبيرهم:

– بعث الحلاج من جديد.. ماذا نفعل به؟؟

– دعوه لي.

شدني من يدي الى المروحة السقفية، وتركني ادور معها بعنف. غامت الدنيا امام عيني في بادئ الامر، وتملكني الغثيان والقيء.. شعرت بأمعائي تتصاعد الى بلعومي. اظلمت الدنيا امام بصري. المروحة تدور بلا رحمة.

بقيت طوال الليل ادور حول نفسي.. غفوت في منتصف الليل قليلاً، واشرق عالمي الوردي عبر الظلام، وزال عني ارهاق النهار المتعب كله. انشق الجدار القذر وتسلسل منه ضياء ناصع لطيف يحمل كأساً على الأثير.. اقتربت الكأس من فمي ولا مست شفتي.. ارتشفت الجرعة الاولى، فانتشيت نهائياً، وغاب عني الألم.. خلطني ارقص في فجر مبكر للربيع. الندى.. الشمس المشرقة.. حوريات الغاب.. بلايل الروض.. العالم الوردي الساحر.

يا الهي! دعني اعيش هكذا الى الابد. دعني ازداد عذاباً ما زال العذاب لذيذاً..

نهضت في الصباح لأراني ما ازال ادور، وتقدم مني الجزار –الوحش صارخاً:

– أتنبذ اسمك يا لعين؟؟

..

– ساتركك تدور هكذا الى الابد.

- دعني ادور. واعلم -يا نديمي- انك توردني السعادة.. وعذابني مؤقت لم اشعر
به سوى في البداية.. فخلايا الجسم سرعان ما تألف سرعة الدوران، لن أموت هكذا
مازلت ادور في مجال جاذبية الارض.
صفعني الوحش بقسوة.. وتركني مغمغماً متوعداً.. خلته قد اختلط عليه عقله.
صحت به ملء حنجرتي: انا الحلاج.

حلّجيات

العدد (٣١٠) الثلاثاء ٩ تموز ١٩٦٨

عاودوا الكرة في اليوم التالي.. في هذه المرة صعدت، ودهنت الخشب بمرهم طلبته، ودهنت الحبل لينزلق بسهولة، كما ملأت الكيس بأحجار ثقيلة، وغرست الرياحين حول فوهة البئر..

له رائحة كريهة تنبعث من البئر، فهناك تتطفل القذارة والعفونة.. وحدقت من شقوق الباب الخشبي كان الجزائريون يشربون آلام الروح.. ويقتعدون جثث آلاف المشنوقين. اغمضت عيني، وسبحت في العالم الوردي باعماقي.. ورحت انشد مواجيدي..

- زدني صبراً يا الهي! زدني قوة على تحمل ضياء حيك العنيف؟ فالروح مني قد تذوب وجداً وشوقاً الى قطرة من خمر وصالك ايها الحق العظيم.

رفسني جزار وصرخ:

- هنا.. ايضاً.. تلحج؟!!

...

- قم، هذه هي نهايتك.. اقرأ.

كان يريد ان اتلو الكلمات النهائية التي يجب ان يختتم بها الانسان حياته الفانية، ولكنني لا اموت.. انا ادري لا اموت، فلم اقرأ..

- اقرأ، والا تموت زنديقاً!

- احب ان اكون زنديقاً.. ان كان حب الحق زندقة..

- هات عنقك اذن.

امسك برقبتني كما يلوي الجزائر رقبة النعجة، وادخلها في الحبل.. وامسك بنهاية اللوح الخشبي تحت قدمي، ممتزجاً سحبه.. قال مهدداً:

- ماذا تقول الآن؟

- انا حلاج..

سحب الخشب دفعة واحدة، وانزلت الى اسفل، وبقيت متأرجحاً واختنقت
انفاسي، وضاق الحبل بروحي المتمردة.. رفست بقدمي.. وانحصر الدم في رأسي
ولم يعد قلبي يستطيع ضخ الدم الى الرأس، طافت بمخيلتي ذكريات جهنمية..
دغدغتنني آمالي الوردية من الداخل فأغمضت عيني رغماً عني..

حلّجيات

العدد (٣١٢) الخميس ١١ تموز ١٩٦٨

فتحت عيني لأراني مازلت مشدوداً بحبل المشنقة. لم أمت اذن.. ماذا يعني الموت هنا؟ سيان عندي.. متُّ أم لم أمت. ثمة حقيقة أساسية يجب ان تنتصر.. ان يظل العالم الوردي الراقص امام عيني، والوليد بأعماقي.. مشرقاً دائماً..

قال كبيرهم:

- تكلم.. اتبرأ من اسمك؟

- انا الحلاج. ولن اتبرأ من ذلك، ولدت حلاجاً. وبراءتي من ذلك.. تعني موت عالمي الوردي، واغتيال السعادة الحقيقية الوليدة بأعماقي.. انا الحلاج..

نظر الجزائريون الى بعضهم حانقين ابتدر احدهم:

- دعه لي..

قادني الى زنزانة ارضية، نزلت عشر درجات حتى بلغت القعر، لم أتبين شيئاً، لعلكة الظلام، وأحسست بشيء أملس يلتف حول قدمي.. اجفلت مذعوراً، ورفست قدمي، فارتطم الجسم الاملس بالحائط وسمعت فحيحاً حاداً: انه ثعبان خبيث، وعبثاً حاولت ادراك مكمته الآن، وقفت اتمس الظلام حولي، فلا اتبين سوى الظلام، ومددت يدي خلفي، فاصطدمت بجدار ترابي.. والتصق شيء باصابعي. كان يدب على كفي. خلته عنكبوتاً.. مددت يدي الأخرى لأمسكه، فلدغني العقرب - كان عقرباً- وقبل ان ارمي به ارضاً، لدغني ثلاث لدغات موجعة.

تورمت رؤوس اصابعي الملدوغة، واحتضنتها في جيوبي، وقعدت بمكاني على الارض الموحلة. الرائحة نتنة، والرطوبة، والبرد.. والصمت والظلام..

التف الثعبان -ثعبان جديد.. وربما- حول عنقي هذه المرة.. من اين صعد على كتفي؟ قبل ان افكه عني، لدغني عقرب في قدمي العارية.. الصراصر القذرة.. ضفدعة نقنفت، وارى بان الثعبان ابتلعها.. مرقت فأرة بسرعة.

مرّت لحظات الحياة.. وثارت ذكريات قديمة.. مشوشة، كبقع بيضاء سرابية، لا
أدري كم بقيت هناك وما هو موقعي على الارض.. ضاع مني المكان والزمان.
تحسست حولي. أليس هذا.. هو القبر؟؟ لم تبق لي أية وشيجة بالعالم.

حلّجيات

العدد (٣١٦) الثلاثاء ١٦ تموز ١٩٦٨

استفقت في اناء الليل، لأرى السجان نائماً واضعاً رأسه على ذراعه الممدودة ويده
لم تزال قابضة بمقبض سكينه الداميه.. على منضدة خشبية وثمة كيس من الملح
الناعم ملقى باهمال في زاوية من الغرفة لم ازل معلقاً بشعري الى السقف.

حركت نفسي وشعرت بآلام حادة حين كانت خصلات من الشعر، تقتلع. حزني
الوحيد انني لم أكن املك القوة على السجود لضياء الحق المتسلل الى الغرفة الدامية
رغم السجانين. رحت اتلو اناشيدي:

- يا الهي! ايها الخالق العظيم.

قفز السجان مذعوراً، وفرك عينيه.

- صه! ايها اللعين! اما زلت تحلج؟؟

شهر السكين المصدأة بالدم المنخثر وغرسه في بطني! وتركه هناك... عاد
واضعاً رأسه على ذراعيه الممدودتين على بعضهما.. وغط في شخير مزعج.

ثم كنت اتمنى لو استطعت غرس نصل السكين الى اعماق بطني كانت يداي
مربوطتين الى الخلف. ووددت لو قبلت السكين بخشوع، وتركتها تنهي حياتي
القدرّة دفعة واحدة، انها ارفق بي من الوحوش على الاقل، لأنها تعذب من اجل
الفناء، وتتوقف حين يتركها الآخرون.

اما الوحوش الطلقاء، فلا يحدهم حد ولا يوقفهم اي رادع، ويعذبون من اجل
التعذيب ذاته. الجحيم يتكلم بينهم.

بزغت بشائر العالم الدموي في اعماقي.. ونسيت كل شيء آنذاك.

حين فتحت عيني رأيتني يسحبونني الى عربة عتيقة، واخفوني تحت كومة من
الحشائش، عصبوا عيني وبدأت العربة تتأرجح. غفوت غفوة قصيرة. نهضت على
رفسات احذية سوداء.. صاحوا بي:

- قم وأحفر..

كنت واهناً هزياً جئاً.. ورغم كل ذلك، حفرت حفرة صغيرة لنفسى في بركة
لم أجد فيها اثر الحياة سوى الجزارين حولي.. وصاح احدهم: اتنبذ اسمك؟. لم ارد
بشيء دفعني الى الحفرة، وسرعان ما تمددت فيها بإطمئنان.. وواروني التراب.

حلّجيات

العدد (٣٢٠) الخميس ٢٥ تموز ١٩٦٨

في الزنّانة التي رموني بها، رأيت عدة جثث ممددة.. عشرات من الافرشة الخالية،
ملقاة بإهمال في زواياها. ضحكت من نفسي:

- لست الوحيد.. اذن..

تقدمت من نائم، رأيته لم يزل ينزف دماً.. رأسه مصاب بجرح كبير عند المؤخرة،
وجبينه مسود بماذا؟.. آه أنه حليق الشاربين والحاجبين والرأس، ووجهه كله
مصبوغ بالحبر الصيني الأسود.

الصبغ لماذا؟ لم اتعرف عليه. وهذا الا يكفي. يريدونه ان يتغير. او يريدون ان
يغيروه هم بأيديهم مهما كلف الامر. ونسيت لوني.. كيف صبغوني وبأي لون؟
هزرت صاحبي ليقوم كي ينظر الى وجهي فيخبرني بذلك. عبثاً حاولت.. لم تنم
منه أية حركة سوى هبوط وارتفاع صدره المتعب. سحبت البطانية الدامية عليه
بهدوء وتركته.

تقدمت من آخر.. متكور على الارض بلا فراش، بلا غطاء.. ساقه مكسورة..
اظافره منتزعة. كدمات زرقاء على فكه وجبينه وصدره.. حملته بصعوبة ووضعته
على احد الافرشة الخالية.

تكورت حول نفسي، كان التعب قد نال مني منذ الصباح. سرعان ما غفوت، ولم
استفق الا حين صبوا عليّ ماءً بارداً، فقفزت مذعوراً..

قال كبيرهم:

- من انت؟

- الحلاج..

- خذوه. الم يزل مصراً على جنونه؟

قادوني الى دهليز طويل تتفرع منه غرف صغيرة، كل منها كفرن من افران
الجحيم. كل منها تحوي وسيلة من رسائل التعذيب. سرت رعدة من الخوف بجسمي
رغمًا عني. تمالكت نفسي ان اغمضت عيني وهدقت في العالم الوردي الزاهي
بأعمائي..

القوا بي في غرفة وانهاالوا عليّ ضرباً بالهراوات.

حلّجيات

العدد (٣٢١) الجمعة ٢٦ تموز ١٩٦٨

ضربوني بالعصي حتى انتفخ جسمي، واختلط عرقي بدمي.. وكنت أئن حين اتنفس
كمن يئن تحت حمل ثقيل.

- اقعدوه الآن.. ارفعوا قدميه!

راحوا يفلقونني بالعصي تحت قدمي، وانتفخت القدمان من تحت، كنت اتلهى
بمراقبة لمعان عيون الوحوش.. هذا اللمعان الذي اخذ يخبو كلما ازدادت قدمي
تورماً، وكلما انكسرت عصا جديدة وجاؤوا بأخرى. تخدرت قدمي ولم اعد اشعر
بالضربات الجديدة، وأحسست بلذة غريبة كلما امعنوا في التعذيب.

- فكوه.. دعوه يركض!

حملوني من ذراعي وكان عليّ أن اقف واركض. لم اتمالك نفسي واقفاً فهويت
على البلاط. حملوني ثانيةً ودفعوني:

- هرول!

خطوات خطوات عدة رغماً عني وسرعان ما تدرجت وسقطت على وجهي ثانيةً.
دفعوني ركلاً.. كم قدماً تركلني؟؟ لا ادري.. كنت اتدحرج من نهاية الغرفة الى
بدايتها ثم من جديد، مدفوعاً بالركلات.. خلطني كرة، واشتدت آلامي، وتملكتني
ضحكة لعينة في هذه اللحظة.. ماذا يريدون مني؟؟ الا يضحكون من انفسهم؟ غطى
الدم وجهي، وحجب الرؤية عن عيني، امتلأت خياشيمي به، وكادت انفاسي
تختنق.

تلاشى كل شيء رويداً.. رويداً، ولم اعد احس بالركلات أو أسمع ضجيج الوحوش
حولي او وقع اقدامهم الثقيلة، غفوت غفوة على صدر عالمي الوردني الذي لن اتخلى
عنه ابداً.

رأيتني بعد.. كم؟ لا ادري.. رأيتني معلقاً بيدي الى السقف.

حين فتحت عيني، كان كبيرهم يدخن لفافة من الأفيون، ويمسك باليد الاخرى
كأساً من الويسكي. مدها نحوي: اشرب؟ اکتفيت بالتحديق فيه وغمضت عيني
ثانيةً. سمعته كأنه يتكلم من مكان بعيد: حين يستفيق تماماً جيئوني به.

حلّجيات

العدد (٣٢٣) الاحد ٢٨ تموز ١٩٦٨

فتحت عيني، وفركتهما لأرى جيداً.. أهذا واقع أم حلم؟؟
امرأة شابة عارية تماماً معلقة بالحائط مقلوبة، بحبل مشدود الى كاحليها..
وامرأة اخرى عارية ايضاً معلقة بشعرها.. واخرى بنهديها..
آ..ه! سقطت مغمى عليه. هذا الألم فاق جميع الآلام.
صبوا عليّ ماءً بارداً، واستفقت لأصبح مستغيثاً..
- كفاني عذاباً! عذبوني وحدي بدلاً عنهن. أو ارحلوا بيّ من هنا..
- ستظل هكذا او تنبذ اسمك؟
-

- علقوه على الحائط.

شدوني الى الحائط، ويدي مكبلتان من الخلف. علقوني هكذا لأرى العاريات.
الاولى كانت تئن. الكدمات الزرقاء تزين صدرها البضّ واحد نهديها وبطنها..
وفخذها.. ولم ار في أي اصبع من اصابع قدميها.. اياً من اظافرها. نظرت الى
الارض تحتها. جميع اظافر قدميها ويديها ايضاً كانت مكومة هناك. عاودني
الاغماء ثانيةً. ظل شبح العارية يتراقص في اعماقي. استفقت لأرى الجزار يتقدم
مني مهدداً:

- ما اسمك؟؟

- الحلاج..

- امازلت مجنوناً؟

مد يده وقطع احد نهدي العارية امامي. صرخت متلوية من الألم.. كادت احشائي
كلها تتقطع. اغمضت عيني كي لا اراها. صفعني الجزار بعنف:

- انظر...

يحمل النهـد المقطوع في يده كأنه يحمل قطعة من لحم الخروف.. ووضع الحلمة في فمي. قبلتها قبلة مدوية، وبللتها بدموعي الحارة.. الحارة.. الحارة..
الدم النقي الطاهر ستر جسمها العاري وستر عورتها. لبست كفنأ قرمزيأ من الدم. تقدم منها الجزار وقطع النهـد الآخر والقي به على صدري.. الفريسة كانت فاقدة الوعي.

حلّجيات

العدد (٣٢٥) الثلاثاء ٣٠ تموز ١٩٦٨

يا عالمي الوردى.. لا تتخل عني!

المرأة العارية، مقطوعة النهدين، تشوش على كل شيء.. لم اعد استطيع ان اغمض عيني او افتحمها لم ارها مرة تنظر. كانت تهمس وتغمغم حين تعود الى رشدها وتتلطف بأسماء.. اطفالها؟ لا ادري... اخوها.. ابوها.. حبيبها؟ لا ادري.. اسماء أناس.. ثم تغيب ثانية. عارية تماماً.. مقطوعة النهدين، مكتسية بكفن قرمزي دموي.

تقدم وحش آخر من المرأة المعلقة بشعرها. صغيرة الجسم، شابة.. تفتح عينيها احياناً وتحرق في السقف. تصرخ بكلمات غامضة وتغيب ثانية.

ارحل بي اليك! ايها الموت الرؤوف.. خذني اليك!

- ايها الوحش!

التفت نحوي بعينين حيوانيتين: امازلت حياً يا قدر؟

بعد لحظة.. تقدم مني يصفعني بلا رحمة. ومد سكينه وقطع احدى اذني.

احضر مكواة كهربائية محمرة..

دلكتها على صدر المرأة المعلقة بشعرها تلوث بعنف وكادت خصلات شعرها كلها تنقطع. اهتزت الغرفة من صرختها. وفتحت مقطوعة النهدين احدى عينيها بصعوبة بالغة. امتلأ الجو برائحة لحمها المشوي، وخارت قواي هذه المرة تماماً..

لاحظ الوحش ذلك مني فقال:

تم اتنبذ الآن اسمك؟

...

كان الانسان الآخر بأعماقي يهتف بي دائماً: دعهم يقتلونك دفعة واحدة

ففينقذونك من هذا العذاب الأليم. ما الذي يشدك الى هذا العالم القذر الفاني؟
تراقص العالم الوردي امامي، تشوشه صور العاريات، ويشوش عليّ. وضع
المكواة على خدي اليسرى.. وتركها دقائق حتى تعالي الدخان منها.

حلّجيات

العدد (٣٢٧) الخميس ١ آب ١٩٦٨

عاريات.. معلقات بالسقف.. تجمدت أحداهن مقطوعة النهدين، وأصفرَ وجهها. لم
اعد اتبينها تتنفس. هزها جزار في منتصف الليل. صاح بصاحبه:

- انقلوها! ماتت..

لم يفكوها دفعة واحدة. في كل مرة يقطعون منها جزءاً.. في البداية فكوا عنها
رجليها واحدة واحدة من الفخذ. ثم ذراعيها.. وصدرها.. وتركوا رأسها معلقاً امام
المرأة المعلقة بنهديها، تحديق عيناها الزائغتان في اللاشيء.. في العدم.

تقدم احدهم من المعلقة بشعرها، واطفاً سيجارته في نهدها الأيسر. غرس
مسماًراً في راحة كفها، والصقها بالحائط. حلق شعر رأسها تماماً، وحاجبها،
وتركها تغمغم وتشتتم بألفاظ غامضة..

عالمي الوردى غدا ضبابياً.. يريدون ان يحجبوه عني هكذا؟ يريدون ان يقتلوه
بأعماقى؟ اغمضت عيني ونظرت الى الداخل، لم يكن يبدو مشعاً متوهجاً
كالسابق.. صور العاريات.. الرأس الجامد المعلق امامي.. يرفض جدلاً، انها لم تمت
اذن..

فتحت عيني.. المعلقة بنهديها تترنم بالحق. بكيت بكاءً مرّاً لأول مرة منذ
تعذيبي.. قالت لي هامةً:

- اتراني؟

- اراك.. ويا ليتني كنت أعمى!

- أليس لك حبيب تتغنى بأسمه؟

- بلى!

- حبيبي هو الحق..

- انت الحق.. يا..

- يا حورية العالم الوردى..

غمرتني النشوة، وغبت عن كل شيء إلا عن صورة هذه الحورية الساحرة..
استفقت عن حلمي المزعج. لم يزل الجزائريون ينهالون علي بالعصى والهراوات^(١).

(١) تعبير عن تعذيب المعتقل واذلاله باهانة كرامة النساء من عائلته أمام عينييه، مثلما
أنتشرت قصص الأمثلة الواقعية عن ذلك منذ ١٩٦٣.

الفصل الثالث

حلّجيات

العدد (٢١٦) السبت ١٧ شباط ١٩٦٨

استبدت بي رغبة طائشة في أن أحلج دنيانا.. ودهرنا القاسي الذي نعيش. الطغاة
الظالمون، اجبن خلق الله!

العاشق قوي، عظيم، حين يعشق الحق والجمال، ويعيش حياته كلها بهذا العشق
الملتهب.. وهو حين يحب لا يجد في نفسه أية رغبة في خنق الآخرين وانتزاع
قلوبهم ونشرها على الاشواك..

القلب الذي يتسع لحب انسان يتسع لحب العالم كله..

العشاق، عشاق الحق والجمال، لا يستطيعون ان يطغوا ويظلموا، لأنهم يحبون،
والحب عدل وحق وسلام..

وحين يظلم الانسان، فان قلبه يكون قد اضحى خاوياً من أية عاطفة.. وأصبح
صخرة صلدة لاتحس، فهو ميت بعالم الاحياء..

والطاغي يطغي لجبنه، لأنه ان يطغي على الآخرين، انما يخشى حصولهم على
الحق والحياة، ولو كان عاشقاً، لما خنق العشاق..

فهو جبان، ان يغتال القلوب النابضة بحب الحياة.. تحت جنح الظلام^(١).

وهو نذل، ان يريد ان يعيش والآخرين يتعذبون..

وهو قذر لأنه يسبح في عرض المحيط القدر، اعمى، قبيلاً تافهاً..

وطالما يهتف الناس:

– (يحيا العدل!) (يحيا الحق!).

(١) تعبير عن الأحتجاج على الظلم والظغيان كذلك منذ ١٩٦٨ حتى ٢٠٠٣.

وطالما خنق الطغاة الظالمون، العدل والحق.. في ضحى نهار، فما تحركت
جارحة من جوارح البشر ولا اختلجت قلوب الطغاة..
فأولئك ينشدون -كذباً- بأناشيد العدل.. وهؤلاء الجزارون للحق.. تحالفوا
بخسة ودناءة ليسرقوا الحياة بهجتها، وربيعها.
وما اجبنهم واحقرهم.. لايتوهمون انهم ينالون السعادة، اذا سلبوها من
الآخرين!!
الطغاة -يا اخوتي- أجبن خلق الله.. وحيرتي التي اكاد أجنّ بها جنوناً.. ان
الجبنة مازالوا يختالون تيهاً تحت الشمس، كأنهم سادة الارض الى الأبد!

حلّجيات

العدد (١٣٥) الأربعاء ١٣ ايلول ١٩٦٧

طفلتي! ماذنبك لتولدي في هذا الوحل القذر؟.. وانا.. انا الذي غرقت فيه حتى عنقي.. وذقني.. وجناحاي كلتا عن الحركة؟ ورجلاي شلتا عن السير.. وروحي الغرقى في الوحل، هي وحدها. التي تجاهد للخلاص فجسمي القذر قد تعفن، وخلصي الوحيد في خلاص روحي..

عزيزتي.. الصغيرة! سكين الجزارين قد شقت صدري، وبانت احشائي المتعفنة عارية امام مرآة العالم.. ألا تشمين الرائحة الكريهة لأعماقي؟! انها اخنقت العالم.. جرحي عميق عمق الكون.. والسكين المسمومة لم تزل تعمل فيه تعميقاً.. هموم العالم المفجعة تعوي في فضاء جرحي العميق..

اتبستمين لي بشفتيك البريئتين؟! لاتدعي جرحي يندمل.. دعيه يكبر ويتسع.. حتى يسع العالم كله، ودعي اعماقي تتقطع ودعي آمالي تحصدتها السكين المسمومة.. فلم يعد لي ثمة امل، سوى في خلاص روحي!..

الألم؟ أنه عبث.. العذاب؟ هو كذلك.. فالحياة ذاتها اضحت عبثاً. فما جدوى آمالي الترابية العقيمة؟! العلاج لم يشأ أن يعيش مستكيناً والحق الاخضر في اعماقه تغتاله سكين الجبناء.. وجاهد لخلاص روحه جهاد الخالدين...

فما جدوى تشبثي بالعبث؟ وجرحي عبث ايضاً.. وهو عبث فريد.. كلما اقتربت منه، تقطعت عقد من سلسلة قيود روحي، واتسعت فسحة السماء الصافية امام بصري.. وأي بصر هو هذا؟! انه بصيرة روحي -ياطفلتي الحبيبة!-

ويظل صدري العاري، المفتوح إلى شقين.. ينفث الدخان الخانق لحريق اعماقي. فاللهيب قد اندلع.. ولن تتحرر روحي قبل ان يستحيل جسمي الى رماد. فلا تطفئي اللهيب بابتسامتك -يا ابنتي-.. فافرحي لفرحي العظيم: اذ اندلع اللهيب ليحرق كأبتي وحرني؟! لماذا تلحين علي معرفة ذلك؟!.. انه شعوري الفظيع بالجريمة

لأنني خلقتك في هذا الوحل الدنس.. أتغفرين لي كأبتي؟؟
وما ذنبي ان كانت بصيرتي مظلمة؟ يغشاها ضباب المستنقع، والناس حولي
عميان لا يبصرون؟! وهكذا القيت بك في القذارة، بعد ان سقطت فيها انا ايضاً..
وجهادي شاق.. قاتل. لست ادري: هل انتصر في جهادي؟ أم تظل روعي حبيسة
الاحوال؟

اغفري لي جريمتي -يا طفلي المسكينة!-

حلّجيات

العدد (١٣٠) الجمعة ٨ ايلول ١٩٦٧

ابنتي انا مجرم

كبر في الانسان -الفيلسوف.. وملك حياتي. كم صارت الفيلسوف في نفسي
كي اكون انساناً عادياً يرضخ عفوياً للحياة بلا هدف^(١)!. فما افلحت. حتى تغلب
في الفيلسوف!

وهل يصلح الفيلسوف والداً.. يا ابنتي الصغيرة؟

يطفح ذهني المجنون بألاف الافكار.. وتجوب هواجسي ومشاعري في كل زاوية
من الدنيا، فيعمر صدري كل شعاع.. وكل غيمة داكنة.. فهل تجدين ما تتدثرين به
من عطف والد يهب نفسه للعالم.. ويحمل في صدره هموم هذا العالم كلها؟ كم
خشيت عليك من ان اصير فيلسوفاً.. حتى صرت.. واضحيت افلسف حياتي.
والكون.. والناس حتى حياتك القصيرة يا طفلي الصغيرة..

أذنب والداي بحقي ان دفعا بي الى عذاب هذا العالم.. فتسببا في خلقي.. وهذه
الحياة العبيثية. ولو اختير بيني وبين دخول الحياة قبل مجيئى اليها لما ترددت
لحظة واحدة في الرفض.. رفض الحياة، فأجذني اليوم في صراع رهيب.. ان ارفض
عالمأ انا مضطر ان اعيش فيه واستمر في العيش..

وكم اجرمت -انا- بحقك يا ابنتي الصغيرة ان تسببت في اسارك بجحيم هذا
العالم في هذا العصر.. الجحيم! أه لو تعلمين كم يتقل عذابى كل يوم، ان تكبرين
يوماً جديداً لتقتربي من عالم القسوة والعذاب، حيث ستشعرين بثقل وطأة الحياة..
انا مجرم.. يا ابنتي وكم في هذا العالم من مجرمين عتاة^(٢)! وستزداد جريمتي

(١) تعبير عن صعوبة التخلص من الأزواجية بين متطلبات الحياة العادية من جهة
والحياة الفلسفية الصوفية من جهة أخرى.

(٢) كنت في مقتبل شبابي مصمماً على عدم الزواج. هذا ماكانت تعلمه إحدى خالاتي =

بعد اليوم لأنني صرت فيلسوفاً.. يرى نفسه مضطراً الى التعامل مع عالم يرفضه
رفضاً باتاً من أعماقه!

يهدر الالم في نفسي كالبراكين.. وتتفجر ينابيع العذاب باعماقي وأنا ارى العالم
ذبيحاً بسكين الجزارين.. وها انني المح نصل السكين الدامي يقترب من عنقك
الغض الجميل.. لتقطعه قطعاً.

لا.. لا.. يا ابنتي الحلوة، لاتزيديني عذاباً. كفاني شعوراً بجريمتي!
فأنا مجرم.. يا ابنتي!

= فتعاملني بحنان ولفظ وتقول لي: أحذر! ان حياتك ستكون جحيماً ... لأنك اذا تزوجت
فسيواجهك «نزال مجهول» بين ارادتين فيك، مثلما كانت تعبر بطريقتها عن
الأزدواجية التي فهمتها تماماً، علماً انها كانت أمية، لكنها كانت واعية ذكية تفهمني
أكثر من الجميع. إلا انه وقع ماوقع ودفعتني قوانين الطبيعة والمجتمع الى الزواج
رغم ارادتي الداخلية. يذكرني كل ذلك بأراء الفيلسوف الشاعر أبي العلاء المعري.
وأظن ان قوانين الحياة ترغم الإنسان على التزاوج رغماً عنه. وقد تكون الرهينة
صعبة جداً على كل انسان.

ولن أحمل والدي مسؤولية كل شيء. فاعتذر منهما وأطلب من روحهما المغفرة. فأنا
كنت احبهما وأعشقهما وكانا نعم الوالدين. وقد ذكرت عنها ذلك من سياق الفكرة.
ومن طبيعة الانسان العاجز مثلي ان يلقي بمسؤولية أفعاله على الآخرين!

حلّجيات

العدد (١٣٢) الاحد ١٠ ايلول ١٩٦٧

متى ينتهي هذا العالم - يا ابنتي - لنريح ارواحنا من عذاب هذا الجحيم؟
لن أطيق العيش في عالم مجنون يعبث فيه العبث، والعمى، والذئاب المسعورة،
وسكين الجزائريين. أن اعيش، يعني ان أعيش بعمق، اعيش الحياة كلها، وان اعيش
يعني ان أدرا الذئاب عن جسد العالم كله، ان احتضن الناس كلهم واحميهم. وهل
يسمح لي العالم بذلك؟

اعناق آلاف الاطفال مثلك - يا طفلي - مخرجة بالدم. بلا رؤوس. والاصابع
الغضة معلقة على الاغصان تحت اعشاش البلابل. عيونهم الخضراء البريئة
تتقاذفها الريح نحو اعماق البحر. والذئاب تعوي. وتعوي في احراش العالم.
والسكاكين الدامية تلمع مقطعة الاوصال في الدوارس وبين الانقاض، ومقابر
الاحياء.

فان احيا.. يعني ان احمى الاطفال كلهم - مثلك - يا عزيزتي، فهل يسمح لي
العالم بذلك؟!

انا مجرم، اذ افكر لحظة في مواصلة الحياة في عالم لا يسمح لي بالدفاع عن
الحقيقة، والحكمة وان كان دفاعي هو ايضاً عبث، كعبث الحياة ذاتها.
انا مجرم، اذ يخطر لي لحظة، احتمال العيش هنا، على حافة الجحيم. وكل شيء
حولي ينجر الى الهاوية بان دفاع!

وانا مجرم. اذ خلفتك - يا طفلي - لتشهدي مصرع والدك على مذبح الدفاع
العبي في عالم لا يسمح له بالدفاع عنه! أية الأم ستجرعين من وراء ادراك هذه
الحقيقة المرة يا طفلي البريئة؟! وعقلي الفيلسوف يتعني الى حد الارهاق. فهو
يلح علي ان اجد مبرراً واحداً فقط لحياة كثيرين جداً من الناس، لماذا يحيون؟ ويلح
احياناً فيسأل: لماذا نحيا كلنا؟ بل: ولماذا وجد الكون والحياة؟ فتزداد آلامي.

واشعر بالدهشة والرهبية، لأنني أجد نفسي هكذا، فجأة، في فراغ هائل. في هاوية
لا قرارة لها ولا سطح.

آه! يا طفلي الحلوة، المسكينة. الى هذه الهاوية القيت بك. اتيا بك من العدم، من
سعادتك الابدية؟ ويتناقل شعوري الفظيع بالجريمة، اذ افكر بأنني عبثت بخلود
روحك في عليائها، وحطمت عالمك الغيبي الزاهي الجميل. وحكمت عليك بالسجن
في جحيم هذا العالم فترة عمرك؟

لست ادري، هل ستغفرين لي ذنبي يوماً حين تشعرين بكل هذا؟ اما انا، فيكفيني
انني لن اغفر قط لوالدي لأنهما حكما عليّ بالسجن في العالم، وحكمت على نفسي
ان اظل اثرثر بمثل هذا الجنون ما قدر لي ان اظل سجيناً في زنزانتي، فهل تغفرين
لي ذنبي؟

حلّجيات

العدد (١٣٣) الاثنين ١١ ايلول ١٩٦٧

ابنتي.. انا سجين.. روعي سجينة في أوحال الأثم والدنس!

غداً.. سأهيم على نفسي في البراري، متوجهاً نحو صومعتي الصغيرة، هناك على سفح الجبل الصامد الشامخ^(١)، فاخترتى بخلوتي الهادئة بعيداً عن الناس، اسجد للشمس كل يوم، متوضاً بالعرق المتصبب من جبيني.. منتظراً بزوغ الشمس الحقيقية، شمس روعي المتحررة من كل قيد..

لا بد مما لا بد منه.. وانما هذا هو الدرب الذي اخترت، اي عذاب هذا الذي يعصر قلبي، اذ افكر بك - يا طفلي - تتصورين جوعاً وعطشاً الى حب وحنان والدك المجنون.. انها ليس ذنبي، بل ذنب من اسقطني في العالم.

كان للحلاج ايضاً اطفال.. ولم يترك وراءه لهم سوى حفنة رماد من جثته.. وحتى هذا الرماد البتلغته المياه، فما الذي استطيع انا ان اخلفه لك سوى الأثم والحزن والتعاسة؟!

ابنتي.. ها انا ذا بدأت احلج روعي لينفض عنها الغبار القذر ومتى صارت نقية طاهرة، رقصت لي السعادة الابدية في اعماقي، فكيف امنحك قبسة من سعادتني ان كانت روحك مثقلة بأثربة الدنيا، وانا.. انا الذي تسببت في سقوطك بين اكوام التراب؟ هل اقوى على انتشالك من الوحل القذر الذي خلقتك فيه؟ قد ترفضين الخروج منه، بعد ان تمتليء خياشيمك برائحته المتعفنة ويغشى الضباب بصرك.. فلاترين في والدك هو سوى ما يراه الناس فيه.. من مجنون، مجذوب، وما يدرون انني مجذوب نحو الشمس الحقيقية..

(١) بعد سنوات من هذا التاريخ وجدت نفسي فعلاً على سفوح الجبال وأستغرق ذلك عقداً من السنين دون ان تتاح لي مشاهدة بزوغ الشمس الحقيقية المنتظرة، فقد بقيت أسيراً في علاقات وقيود المجتمع، فلا أجد فرصة للتأمل والتحرر... ولا أعتز على صومعتي.

حب الحق - يا ابنتي - ثقيل وعنيف، لاتستطيع كل الاعناق ان تحمله.. وشعاع
من شمسه كفيل بتحطيم الحياة كلها. وجنوح المرء الى التشرد والجنون والضياع
في عالم جديد.. واسع. من الامل والوجد. وهل تقوين على تقويض اعواد خيمتك
الترابية لتلتحقي بوالدك المجنون؟ وعذابي يكمن في خشيتي من ذلك.. يوم تبقيين..
تسبحين في الوحل القذر، وابواب ادراكك موصدة الاغلال.. وانا انا.. وحدي الذي
احترق، واحترق بشدة، شوقاً الى الحق، وعذاباً من أجلك، حتى أفني نفسي عن
ذاتي.. فاغفري لي ثرثرتي..

حلّجيات

العدد (١٤٤) الجمعة ٢٢ ايلول ١٩٦٧

دعيهم - يا ابنتي- يسلخون جلدي ويملأونه بالتبن ويعرضونه في سوقهم، سوق النخاسة، وانا الذي اتعجل ذلك اليوم، يوم انزع جلدي المسخ لأليس جلدًا جديدًا.
دعيهم - يا صغيرتي- يشقون صدري ويعيثون بقلبي، فأنا الذي اتحرق الى ذلك، يوم تجد الروائح الخانقة للوحل القدر في اعماقي، منفذًا للخروج، فيتطهر قلبي.
دعيهم يعذبونني، فسعادتي في ذلك العذاب، الم تعلمي انني في كل ليلة اتعلق بسقف الدار برجلي ورأسي الى اسفل فينهال عليّ أقسى عذاب؟!
اما درب الصدق، فقد شق ابدأ اراض وعرة؟ ومر سالكوه بهذا العذاب، واريد ان اصير احد السالكين.

اما جلدي المتسخ الذي قد يتباهون بعرضه فيقولون:

- انظروا، يا ناس، اننا سلخنا جلد ذلك الجاحد اللعين!

فهو جلد قذر غارق في الوحل، فالقيه كلما تمرين به. وسترين بعد ذلك، ان جلدي الجديد جميل غاية الجمال، وصلب لايدانيه أي اشياء الارض في الصلابة، لأنه من نسيج الحق، ولو أصبح مرمى لأفتك الاسلحة، لما استطاعت آلاف الرصاصات أن يحترقه، لأن الحق في الداخل يحميه، وهل من قوة أقوى من الحق في الأرض؟
فاسخري من اولئك المساكين الذين يعرضون جلدي القديم القذر على الناس، وهم لا يدرون بأنهم ينشرون مآربهم لاغير، وأشهري بأولئك المغفلين الذين يلوحون باضلعي الفاسدة ويقولون: انظروا، لقد ذبحنا قلبه وانتزعنا اضلاعه!
فانهم -يا ابنتي الصغيرة- لا يعملون أكثر مما تعمله الاشباح المنتصبه^(١) في البساتين لإخافة الغربان، فاضحكي ملء شديك حين ترينهم سعيدين بكل ذلك ولا تحزني.

(١) الفزاعة.

حلّاجيات

العدد (١٩٣) الجمعة ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٧

أتساءل كثيراً: لماذا تتعفن الهموم في الصدور ولا تتحول كلها الى رصاصات ثورة؟ كثير من الهموم تنفجر رشاشات نارية تحرق هياكل الظلم، ومعظم الهموم تتبدد أو تتعفن بين الأضلع وتختنق.

الهموم العظيمة تخلق رجالاً عظماء، اذا ما انفجرت انفجاراً طبيعياً، وثمة جمع من الموقوفين يلهون بالسخرية من رجل معتوه ملتحي، اتهم بقتل احدى زوجتيه قتلاً وحشياً، يقولون بأن القتيلة كانت صغرى الزوجتين وجميلة ومهذبة، فلم يكن هناك ثمة أي دافع لقتلها سوى رغبة القاتل في التخلص من الشجار اليومي المستمر الذي كان ينشب بين الزوجتين، وجرى القتل بطريقة وحشية - كما يقره المجتمع - فبعد خنقها، احرق القاتل جثتها حرقاً بعد تمزيقها ارباً ارباً، بين الوديان المحيطة بالقرية، حيث تسكن القتيلة.

يبدو الزوج القاتل معتوهاً، وهو ملتحي يدعي التبتل والعبادة والتقرب الى الخالق، واجتمع آخرون حوله يستهزئون من الالفاظ الغريبة التي يرددها.

والآخرون حوله، متهمون ايضاً، وسكارى، وشذاذ، لكنهم يسخرون من هذا المعتوه الأبله، أليسوا هم ايضاً بلهاء؟ ايحق لهم ان يضحكوا من عقله، وهم الذين يلزمهم ان يضحكوا من انفسهم؟

هنا، نحن جميعاً مجرمون عند المجتمع وقوانينه، ومعظمنا مجرمون رهيبيون، فأنا مجرم لأنني لم ارفض هذه الحياة القذرة منذ البداية، وآخرون مجرمون لأنهم سمحوا لأنفسهم بالسباحة في الوحل القدر، وغيرهم اجرموا بحق انفسهم حين تركوا مغريات ونزوات الجسد تكبل الروح وتخنقها.

هنا تعيش القذارة، اقدر القذارة، والناس هنا يمثلون الجانب القدر من الحياة، رغم انهم جميعهم متمردون على الحياة ذاتها، لكن معظمهم تمردوا تمرداً قذراً،

فسقطوا في هاوية القذارة.

قسم قليل منا هنا، دخلوا الزنزانة القذرة هذه لأنهم تمردوا على القذارة ذاتها في المجتمع، لكن المجتمع رمى بهؤلاء ايضاً الى هذا الجب النتن، اليس المجتمع ايضاً قذر؟ وقذارته تكمن في انه يكافح القذرين واعداء القذارة بنفس العنف^(١).

(١) تعبير عن الحالة الإجتماعية - السياسية آنذاك، فالإعتقال كان مصير المكافحين المعارضين شأنهم شأن المتهمين بجنايات وجرائم. وكانوا أحياناً يحشر بهم في معتقلات واحدة!

حلّجيات

العدد (١٩٥) الاحد ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٧

كنت طريد الاضطهاد في أحد العهود الحالكة، تعبت سيراً على الاقدام، فجلست على كومة من التراب على ضفة ساقية ملتوية تمر بالقرى العديدة المتناثرة وتسقي المزارع، وعلى ضفتي الساقية تنبت اعشاب وأدغال برية مختلفة وتعيش السلاحف والضفادع والحيتان وحشرات مالية كثيرة.

تأملت الماء يتلوى عبر الساقية، وينعطف بإنعطافاتها، ويسير هادئاً رائقاً، لا يحمل سوى القشور والاعواد اليابسة الصغيرة التي غالباً ما ترسو هنا او هناك، ويظل الماء جارياً لا يلوي على شيء.

رفرفت فراشة زاهية في الضفة المقابلة وحطت على غصن من العاقول^(١)، ثم طارت ثانية، فهبت ريح خفيفة دفعتها الى اسفل فسقطت في الماء، انبطح جناحها على سطح الماء وبدا لي انه قد قضي عليها واختنقت، لكنها سرعان ما بدأت تحرك جناحها وترف بهما، ظل الماء يحملها بإتجاه مجراه، والفراشة الزاهية ترفرف و شعرت بضيق خانق واستبدت بي رغبة حارة في انقاذ الفراشة الصامدة، ويبدو انها كانت اعظم من ان تنتظر نجدتي لها، فتعلقت بغصن جاف يمتد عالياً فوق سطح الماء بقدم وأكثر، وصعدت بإمتداد الغصن حتى ابتعد جسمها عن ملامسة الماء، وانتظرت لحظة، وبقيت انا ايضاً أراقبها، حتى طارت من جديد لتحط على غصن للأعشاب في البرية، فتنفست الصعداء، ونهضت اتابع السير، وبدا لي الدرب سهلاً، والامل سهل المنال، ألت - انساناً - في عظمة فراشة ضعيفة؟

كان شهر نيسان، وورود نيسان الحمراء تزين ضفاف الترع الصغيرة بين المزارع الخضراء فتبدو مثل شفاه العذارى، طرية، قانية، تنتظر شفاهها تمصها

(١) نبتة برية ذات أشواك وزهور صغيرة جميلة.

حتى تشرب رحيقها العذب.

والشقائق الحمراء تبدو قانية حمراء، وسط المزارع حيث الورود الصفراء والبنفسجية البرية ايضاً تختلط ببعضها، وكأنها كلها زينت بريشة فنان عظيم، وهيئت لأستقبالي اليست كلها لي؟ فبدا لي انني مغدور جداً حين كنت احب هذه الحياة حباً عنيفاً جنونياً، حتى اضحيت اشقى، وأعيش اقسى العذاب، من أجل الحياة ذاتها.

هنا، في قذارة هذه الزنزانة يستعيد ذهني هذا الشريط الطويل لتلك اللحظات وآلاف اللحظات المماثلة التي عشتها، ويحضرنني التساؤل مرة أخرى: هل تستحق الحياة أن تعاش؟ ويبدو انني لا استطيع الاجابة جدياً قبل أن اتساءل: لماذا عشت قذارة الحياة وفي الحياة جمال خالد عظيم؟ لماذا اعيش هنا في ضباب هذه القذارة، في حين كنت استطيع ان أعانق جمالها النقي الطاهر؟

حلّجيات

العدد (١٩٧) الثلاثاء ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٧

ذات صيف، وأنا طريد الإضطهاد في العهود الحالكة، حصدت مزرعتي بالمنجل اليدوي، واستمر الحصاد شهراً كاملاً، كنت اشعر بلذة عظيمة حين تتربع الشمس فوق، ويعرق عنقي وجسمي كله، واتذكر مقطعاً من قصيدة انتظمت في ذهني آنذاك:

رحت مع الفلاحين - والمنجل بيمنائي - تناثرنا في الحقول..

تحصد القمح، يداي

ادوس الشوك والعوسج حتى ادميت قدماي

حتى تبلل عنقي بالعرق..

وعيناي..

غابت فيهما حلكة كأبتي وأساي

فأشرقت بأعماقي شمس كشمس - آيار -

اذابت عني همومي وعن عيني بكاي..

رأيت سعادتي في التعب حتى الارهاق، اثناء العمل. اثناء الكفاح الشاق الدؤوب في الطبيعة وكانت ايامي آنذاك سعيدة، مشرقة اشراقة الشمس في ظهيرة تموز.

تثور بأعماقي الرغبة الحارة في البعث ثانية، ويستبد بي حنين طاغ الى ايام تلك الحياة الروحية السامية، فتمتليء مرافيء عيني بالدموع الحارة، هل تبتل وسادتي بدموعي من جديد؟

لست ادري.. لماذا؟ ظلت وسادتي مبتلة بدموعي منذ صباي، أبكي حرقه لفراق الأحيّة، لفرق الاصدقاء، اتذكر انني عدت الى المدينة بعد فترة من فترات العهود الحالكة، فرأيت المدينة مهجورة من قبل أحبّتي^(١)، فعدت خائباً باكياً:

(١) مدينة كركوك، حيث قتل عديدون وهاجر آخرون، والبعض كانوا معتقلين، والبعض يائسون محبطون.

كم بحثت في المدينة جرياً وراء السكينة

وكم يعذب قلبي اذ ينتفض حنينه

سائلاً: اين الاحبة ايتها المدينة؟؟

انا شهيد حبي، حبي العنيف المحرق، الا ترون جبهتي المكتوية؟ لقد اکتواها لهيب حبي، حبي للحياة وللآخرين، وللأحبة، المنفيين الغرباء، هناك بعيداً في انفسهم او خارج اوطانهم، احب الحب لذاته وأحب الآخرين ايضاً، ماذا افعل؟ اضحيت شهيد حبي اللانهائي، الا ترون لهيبه المحرق يلتهمني؟ ام اضطر ان اقول مثل -بيره ميرد^(٢)-: لا تطفئوا لهيبي الذي يلتهم كفني! اجل! دعوه يحيلني الى رماد، كي تذرره الرياح في مزارع احبتي، فتنبث ورود نيسان الحمراء والشقائق والربيع.

ويحضرني التساؤل المفزع من جديد، هل تستحق الحياة أن تعاش وانا الآن طريد لأنني احب؟؟ ان كنت أرضى مرغماً بسجن جسمي فكيف أرضى بسجن حبي العظيم؟

(٢) شاعر كوردي كبير، كان فيلسوفاً، عذرياً في حبه للناس والثقافة.

حلّجيات

العدد (١٩٨) الاربعاء ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٧

سني تؤلمني جداً منذ اسبوع.. فكرت في اقتلاعها، وعدلت عن ذلك في النهاية وتركتها تتألم في فمي، كجزء من التعذيب الذي أعانيه..

الحيطان المتسخة تئن لاهبة، تعيي والانفاس الخانقة تتصاعد وتتلوى في السجن، مثيرة جداً كريهاً مرعباً.. فالحياة تنتحر هنا وسني اللعينة تعذبني بطيئاً مستمراً، حتى كدت انسى اساري والباب الحديدي المقفل من الخارج..

اود ان اتعذب.. واتعذب الى النهاية حتى تتحرر روحي فاسترد حريتي الحقيقية واين يكمن الخلاص النهائي ان لم تمنحه حرية الروح.. حرية الضمير؟؟ وهذه الحرية تعني الحق.. انتصار الحق في الأعماق ونبذ جميع علائق الخوف والجبن والتردد واسترداد الشجاعة الحقيقية..

قرأت ذات مرة ان العلماء اثبتوا حقيقة مذهلة جديدة وهي ان جلد الانسان يمكنه ان يسمع ويرى.. بعد ان كان معروفاً انه يحس فقط وهل هذا أمر جديد بالنسبة لجلد الانسان أم أنه اكتشاف متأخر عرفه الانسان؟

عندي ان في طاقات عظيمة جداً.. طاقات اعظم بأصناف مما يتصوره الانسان عن نفسه، فهو عظيم وقوي عظمة خياله وقوته فبقدر ما يصله الخيال من عمق وخصب تتوسع وتزدهر طاقات الانسان فهل من العجب ان كان الجلد يسمع ويرى؟؟

والامر المهم هنا هو مدى استغلال الانسان لطاقاته العظيمة، وعندي ان ذلك لا يتم له ما لم يتحرر روحياً، ما لم يتحرر ضميره تحراً نهائياً من جميع الضغوط والعلائق الدنيئة والاعتبارات الذاتية.. حينذاك يملك الانسان قدره وحرية ويعيش إنساناً حقيقياً.. حيث تسنح له لأول مرة في حياته فرصة استغلال طاقاته ومواهبه العظيمة الفذة.

ومازلت اسرع الخطى باندفاع نحو ذلك العالم السامي للتحرر الروحي عبر
احتراقي الداخلي واقتلاع جذور الفساد الذي يعيش في الداخل.. والعذاب قوة
عظيمة للتطهير، وفي الالم لذة خالدة تمنحنا الشجاعة.. والشجاعة هي امتلاك
الارادة في اختيار الحياة.

ومتى ما امتلكننا الحياة واسترجعنا انسانيتنا الذبيحة، المصلوبة هنا على
شطآن مستنقعات الفساد والبغي والانحطاط..

وسأدع سني تتألم.. وتعذبني لأسرع في الوصول الى الحق.

حلّجيات

العدد (١٩٩) الخميس ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٧

صادف اليوم حدوث حادثة عظيمة هناك، في احراش امريكا اللاتينية، فالصوفي العاشق للقرن العشرين -ارنستو جيفارا- قد اغتيل، واحرقوا جثته.

انه الحلاج يبعث من جديد، نفس الروح الحلاجية، كانت كالريح، تنفخ في شرع -جيفارا- عبر امواج هذا العصر الهادر، وتدفعه نحو شاطيء الأمان، حيث الانتصار الحقيقي على الحياة.

لم يمّت جيفارا، ببساطة، ولمجرد الاستجابة الى ارادة الانحلال والفناء، بل قتلوه واحرقوه واخفوا رماده ايضاً، لأنه رماد الحق.

ها هو ذا شهيد جديد من شهداء الحق العظيم، والحب العظيم، يدخل التاريخ ويلتحق بالحلاج في عليائه.

ويعث -زرده شت- بكوردستان، يرفع يديه الى السماء صامتاً ويناجي الحق بجلال وخشوع: -بارك روح جيفارا! بارك روح جيفارا!^(١)

تحرر -جيفارا- نهائياً، وامتك حياتة الحقيقية حين استجاب لنداء الحق، وتبعه الى مذهب التضحية الخالدة بثقة وشجاعة.

ذهب -جيفارا- الى موطنه الحقيقي، في عالم الحق، وبقيت انا اسير زنزانتي المتعفنة، وما أكثر الاسرى هنا!

(١) وهو ارنستو جيفارا الثائر الأمريكي اللاتيني الذي دخل بوليفيا سنة ١٩٦٦ في مغامرة شبه صوفية دفاعاً عن فقراء الأرض في هذا البلد وانكأ لشعلة المقاومة ضد الاستبداد والاستغلال في أمريكا اللاتينية والعالم. وصار بعد أستشهاده رمزاً شبابياً ولازالت صورته لاصقة على صدور بعض الشباب ومكاتب بعض الاحزاب والحركات في العالم، بما فيها أقطار أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وكنت أرى في إندفاع جيفارا عشقاً صوفياً نحو الحق، من أجل الحق، كما هو نهج المتصوفة.

القيود تكبلنا من كل الجهات، ألسنا نصدق القول ان قلنا ان المحشورين هنا في السجن يمتلكون حرية أكبر من التائهين في الخارج؟

نحن هنا نمتلك على الأقل حريتنا في الخيال الخصب، والمضي في التأمل الى اقصى ما يبلغه الفكر من قوة وعمق، اما اولئك في الخارج فهم مسلوبو الحرية من هذه الزاوية ايضاً.

متطلبات الحياة اليومية، تسلبهم قوة الخيال وخصب الفكر ايضاً، إضافة الى أن تلاطم المتناقضات حولهم، يفرقهم في جو كئيب ممل مظلم.

ولئن مات جيفارا، هذه الميتة العظيمة، فعلى الآخرين ان يتبعوه، وهل هناك ما هو اعذب من الموت الشريف؟ الموت هو الخلاص الحقيقي للإنسان على أن لا يكون موتاً حقيراً، في الوحل القدر.

ما اسعدني حين استطيع ان اسبح بقوة، وأصل الى الشاطيء واعانق اللهب ثم يلتهمني الحريق من الداخل والخارج فاصير رماداً كالآخرين!

تلك قصوى سعادتني، لأنني أؤمن ان الحرية عبث ان لم تكن حرية الروح، حرية الضمير^(٢) في الحكم بجرأة وشجاعة.

(٢) بعد أربعين عاماً من هذه التأملات أصدرت كتاباً باللغة الكوردية بعنوان (الحرية والضمير) استمراراً لنفس النظرة، منطلقاً هذه المرة من فلسفة الحكيم زردشت.

حلّجيات

العدد (٢٠٠) الجمعة ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٧

الشاعر الصوفي العاشق -مه ولوى^(١) - يصاحبني، وتطالعني كلماته الوجدانية العميقة، فتبدد ضباب غربتي هنا.

طالعت قصيدته الخالدة حول كأس بلورية، فقالت له الكأس البلورية: كنت قطعة حجرية مهملة فأتوا بي وسحقوني سحقاً، واستسلمت للإرادة حتى عجنوا مني عجينة صنعوا منها هذه الكأس البلورية التي تشاهدون، فأصبحت انادم الملوك والوزراء واعقل العقلاء واذكى الانكباء، وارتاد مختلف المجالس والمجتمعات، وانتقلت يداً بيد حتى بلغت هنا، حيث تمسك بي..

واختتم -مه ولوى- رائعته بالقول:

(لن ينال السعادة من لم يولد مرتين^(٢)).. وسيظل ملاحقاً بعاره وجبته الى ان يستكين في اللحد العميق).

ويقصد بالولادة مرتين، مرة ولادته من أمه، والمرة الثانية هي اكتشافه للحق، فالضال عن الحق لم يولد من جديد، فهو اذن ليس سعيداً.

هذا الصوفي العظيم يعيد الى ذهني، مسلمة ثابتة ترسخت في اعماقي وهي ان الولادة الحقيقية للإنسان هي اكتشافه للحق في أعماقه.

و-جيفارا- قد ولد مرتين، وولد مرة ثالثة حين استشهد في سبيل الحق، ومن اجل ذلك اكتست احراش امريكا اللاتينية^(٣) بذلك الوشاح القرمزي واصطبغ افقها بذلك الضياء القاني.

(١) شاعر كوردي متصوف رومانسي، متوهج الوعي، وحكيم كبير (١٨٠٦-١٧٠٢).
(٢) نظرتة تلامس الحكمة الشرقية القديمة التي تنعكس في فلسفة بودا وسائر الحكماء والمتصوفة، ومنهم الحلاج.
(٣) قتلوه في بوليفيا حيث كان يقاوم ويعيش بين فقراء المزارعين.

ومن اعماق كوردستان بعث -زردشت^(٤)- وبعث -الحلاج- من بغداد، وبعث
آلاف الشهداء، باكفانهم القرمزية، يشقون الدروب الشائكة، ليشيعوا الراحل الجديد
الى الموطن الحقيقي.

وكأني بالصوفي العظيم -مه ولوى- يعني -جيفارا- حين يقول لصديقه:
تم اترغب في ان تموت كي تنال خلاصك الحقيقي من متاعب الدنيا؟ لن تتحقق
رغبتك ابدأ، وستظل تشم رائحة احتراق عشاقك ومحبيك الذين يحترقون في حبك!
وعشاق -جيفارا- سيظلون يحترقون في حبه، حب رجولته الحقيقية حين اتبع
نداء الحق الى النهاية العظيمة بشجاعة^(٥).

(٤) اشارة الى التوحيد الروحي والمشاركة المعنوية للمظلومين وضحايا الظلم.

(٥) مازال جيفارا رمزاً للأجيال الجديدة ... المتجددة.

حلّاجيات

العدد (٢٠٥) الخميس ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٧

كتب لي صديق كلمات قلبية مؤثرة في رسالة قصيرة، قال يشرح فيها وضعه في -موقف- (معتقل) من المواقف العديدة المنتشرة:

الوقت عصراً، السماء كانت وماتزال مليدة بالغيوم، الشمس لا تشرق إلا نادراً، البرد معنا في هدنة، فهو لم يهجم بحدة لحد الآن، بالأمس كانت النجوم متلاألئة في السماء، تحف بالقمر الساطع وعندها قلت: سنستيقظ في الصباح وأشعة الشمس -بعد ان تبسط خيوط اشعتها الذهبية على الجبال والوديان- ستشملنا بعطفها ونحن بين احجار هذه الجدران الاربعة، فراح الليل وكان الصباح، وخرجت من غرفتي لأتمتع بما اردته ليلة البارحة، فاذا المطر لا ينقطع عن الهطول، وأشعة الشمس حلم يقظة شغلت ذهني به، ولكني اقول واصدء اصوات كثيرة تعلقو: الحلم سيصير حقيقة، وستشرق الشمس الحقيقية، وقتها نغدو سعداء).

صديقي المتفائل، المستبشر تفاؤلاً يستمد حرارة هذا التفاؤل من ايمانه العميق بالشعب وبعدالة قضيته، وهو -مثلي- يحب الشمس، الشمس المشرقة دوماً لأننا كنا ابناء الشمس، ولكي اعرفكم صديقي معرفة جيدة، اقرأوا ما كتبه في مقدمة الرسالة:

استلمت.. رسالتك التي بعثت بها اليّ لترسخ عرى صداقتنا ولتمدها بشعاع روحك المتفانية وانت تعلم يا صديقي ان اخوتنا وصداقتنا تمتلك اساساً قوياً فهي اخوة نضال وصداقة تضحية تشترك في بقائها وديمومتها مقومات النضال -الجيفاري- المشترك).

ان ما يجمعنا في صداقتنا -اذن- هو شعاع خالد من الصداقة الروحية المنبثقة من وحدة الفكر والروح، والروح العظيمة التي كانت تنفخ في شرع -جيفارا-، هي التي تشدنا بعضنا الى بعض، وما اقواها واعظمها من روح ثورية!

ولن يصير الثوري حقيقياً ان لم يكن صديقاً مخلصاً.

والصداقة هي اسمى مراتب الحب بين الناس، هل من احد لم يسمع بأناشيد (السلم والصداقة)^(١) التي يرددتها شباب عالم هذا اليوم؟ ومن لم يذق عذوبة الصداقة الحقيقية لم يعرف الحب يوماً، ومن لم يعرف الحب عاش حياة خاوية خواء الدوارس المهجورة.

الصداقة تنبع من الصدق والوفاء والنزاهة، وتختتم فصولها المشرقة بالتضحية، ولولا هذه القبسات المضيئة للحب الانساني العظيم لأنعدم للحياة أي مذاق او طعم على وجه البسيطة، ولعل اصعب أمر امام الانسان في الوجود هو ان يكون صديق نفسه. والذين يبنون مثل هذه الصداقة مع انفسهم قليلون جداً، لأن الصداقة مع النفس في النهاية: الصداقة الحقيقية مع الآخرين، ومن كان صادقاً -صديقاً- مع نفسه^(٢)، عاش حيلة روحية سامية خالية من اي من علائق الكراهية والبغضاء، واستطاع ان يقدر القيمة الحقيقية لكل إنسان كإنسان.

رأيت صديقاً يبكي صديقاً آخر حكم عليه بحكم طويل مرهق ثقيل، كانت دموع الصديق تنهمر بغزارة، اذكر انني لم اشهد يوماً ولم اقرأ قصيدة رائعة وعظيمة عن الحب والصداقة مثل هذه الدموع..

(١) إحدى سمات تلك الحقبة الرومانسية التي كانت تلهم الشباب.

(٢) تعبير آخر عن فلسفة سقراط: أعرف نفسك!

حلّجيات

العدد (٢٠٦) الجمعة ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٧

(المال.. الصنم الجديد)

هكذا كان يردد شاعر شعبي قروي كلما تأمل في الاوضاع الجديدة للمجتمع القبلي الذي كان يعيش فيه، واضحى مقتنعاً أكثر فأكثر بأن -المال- ويقصد به -النقود خاصة- هو الصنم الذي يعبده الناس في هذا الزمان، وعاش ضحية الفقر والظنك، والمجتمع الصنمي، الى ان وافاه الاجل المحتوم وقبر في أحد المقابر بقرية من قرى كردستان الجنوبية.

شاعري الشعبي الكوردي لم يخطيء التقدير وكان حدسه صادقاً، فبعد مماته خاصة -منذ عشرين عاماً- خلقت -النقود- حياة التجارة في الريف وحلت محل -المقايضة- فهدمت معظم التقاليد والاعراف والمثل التي كانت تسود الحياة الريفية الساذجة البريئة، وخلقت في النفوس جسعاً سافلاً وانكباباً على النفوذ وتهالكاً عليها، فانتحرت المثل والقيم (الطبيعية) الرفيعة، التي طالما افتقدتها الشاعر الشعبي ورثاها رثاءً طويلاً في مئات من قصائده غير المنشورة لحد الآن، واشتكى يوماً بلوعة وحزن عميقين قائلاً:

(العقلاء والحكماء في هذا الزمان يعيشون العذاب والشقاء والبؤس)، (والاغبياء المتطفلون.. محملون باكداس الذهب.. ويتنعمون)، وما اصدقه!

ولم يكن يجهل السبب الحقيقي لهذه المأساة.. انه المال، المال الذي صار قيمة اساسية فوق كل القيم الرفيعة! وكان حدسه الشعبي يغوص الى هذا العمق العميق لسر المأساة، لذا ظل يستصرخ (بعبدة الاوثان الجديدة) ان يعودوا عن غيهم و(يعبدوا) الخالق العظيم لكل شيء.

وما اعظم الشاعر الكوردي الشعبي هذا، فالإنسان بمجتمعنا هو اسير ذاته، اسير المنتج الذي ينتجه بيديه، وما اتعس الحياة حين يسجن الانسان ذاته بيديه، نحن هنا هكذا!

فالمال الذي انتجه انا، يصير قيذاً وقضباناً وسجناً وهموماً تلاحقني، انا عبد نفسي فانا عابد صنم، رغم انني اشعر شعوراً عميقاً بأن الذنب لم يكن ذنبي حين ولدت بمجتمع هكذا. وذنبي هو قبولي لأوضاعه هذه بعد الآن، فانا اريد الإنسان سيذاً لكل ما ينتجه ويخلقه ويصنعه، وسيذاً لمصيره وحياته وليس عبداً أعمى لمنتوجه!

هنا، في الزنزانة، ببيت بضعة اشخاص، دخلوها، متهمين بمد الايدي الى المال، وسرقات اموال الناس ايضاً، فالكل هنا عبيد للأموال، ان الاموال التي يجب ان تسعد الناس، اصبحت الآن قيذاً في ايدينا وقضباناً تسجننا خلفها، فهي أصنام جديدة تتحكم بمصائرنا!

الانسان يحتاج الى المال كي يعيش، وهذا هو ما يفرضه المجتمع وأوضاعه، وأمام الانسان المحتاج طريقان: اما ان يزهد ويتقشف حتى يكاد يصير -متصوفاً- مرتضياً بحياة البداوة او ان يسلك سلوكاً غير شرعي للحصول على المال، وانا اوصي بالطريق الاول على أية حال، ريثما نحطم هذا الصنم الجديد فيصير المال عبداً للإنسان، وكلباً في خدمته^(١)!

(١) مع ادراكي لمدى صعوبة ذلك.

حلّجيات

العدد (٢١٠) الاربعاء ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٧

سهرت الليلة مع الشاعر الكوردي العاشق - ولي ديوانه^(١) - بعث باعماقي في
قصيدة واحدة من قصائده.. ما أعظمه يا أحبتي من عاشق مجنون!
عندي لن يكتمل العشق الا ببعض الجنون أو الجنون كله..

بعث - ولي ديوانه - بجبال كردستان يترصد خطى حبيبته - شه م - التي تنتقل
مع القافلة من المشتى الى المصيف.. ومن المصيف الى المشتى.. ويغني اغاني
عشقه المحرق، للبلابل والورود والجبال والصخور والينابيع والرياح والنسيم..
ويوصي كل مخلوق. وكل موجود على الأرض ان يبلغوا - شه م - عنه السلام..
سمعتة اليوم يغني بلوعة منادياً احبته:

- احبتي! اصيب قلبي الليلة الماضية بسهام - شه م - فاخترقته. اوردتني
السهام مورد الهلاك..

لا تكفونوني.. فأنا شهيد..

ادفنوني بملابسي الدامية..

بجروحي.. بدمي

ووصيتي الوحيدة ان تدفنوني في درب الورود.

ليكون قبري قريباً من منتزه العشاق^(٢)!

الشهيد لن يريد ان يكفن.. بل ان يدفن بدمه وجروحه وملابسه الدامية.. وأي

(١) طالعت ديوان هذا الشاعر الكوردي العاشق مرة أخرى، ويعني أسم الشاعر (ولي
المجنون)، فقد كان مجنوناً بحب فتاة تدعى (شَم). يمثل شعره مقدمة للشعر
الرومانسي الكوردي.

(٢) أجعلوا شاهد قبري في قامة شَم، ومقوساً مثل صاحب عينها.

شھيد؟؟ شھيد الحب.. لله ما اعظمك ايها الحب!
يا الهي.. دع سهام الحب العظيم تصيبني وتفتتني.. ودعهم يدفنوني هكذا..
زدني حباً يا الهي ايها الخالق العظيم..
يريد -ولي ديوانه- ان يدفنوه في منتزه العشاق حيث اجمل الورود.. وعلى سفح
جبل.. -لأن شه م المعشوقة تحب الجبال.. والبراري-.
تم اريد ان اكون هناك.
علّ شه م تخرج الى النزهة يوماً.
فتدوس قبري في طريقها..(٣)
يا الهي! ما اعظم هذا العاشق الملتهب.. ان مجرد مشي -الحبيب- على تراب
قبره هو أمنية أمانيه.. فكيف به ان تجرع الحب كله؟! اغفر له جنونه وجنوني يا
الهي!

(٣) ولي ديوانه (١١٥٨-١٢١٦) هـ . ش .

حلّاجيات

العدد (٢١٧) الاحد ١٨ شباط ١٩٦٨

سرد لي صاحبي حواراً بينه وبين حاكم - في احد العهود الحالكة-، كان الحاكم يلح في السؤال، ويطلب مزيداً من الأجوبة لأسئلته الكثيرة.. حول الاتجاه الفكري لصاحبي، ان كانت المحاكمة.. من احدى المحاكمات -الفكرية- المشهورة في تأريخنا المتناقض.. المضحك، العجيب..

قال صاحبي: لم أكن اريد التحدث عن أي شيء، فكنت اجيبه بايجاز شديد، بينما هو يلح.. ويهدد ويتوعد.. او يراوغ ويستعطف، محاولاً ارغامي على التحدث.. فقلت:

- سيدي.. اتريد الحقيقة أم مجرد فبركة الأقاويل؟

- الحقيقة طبعاً.

- اذن اسمع.. احضر جحا ذات يوم.. -وزة- مشوية الى السلطان، فالتهم احدى فخذيهما في الطريق. غضب السلطان حين رأى -الوزة- برجل واحدة فقال ساخطاً:

- اين الرجل الأخرى؟!

- هكذا كانت.

- كيف؟

- الوزة في منطقتنا كلها هكذا.. وتستطيع ان ترى ذلك بنفسك..

خرج السلطان وحاشيته مع -جحا- الى غدير قريب ورأوا مجموعة كبيرة من -الاوز- حول ضفاف الغدير. وكل منها واقفة على رجل واحدة ومتكورة على نفسها، فاشار -جحا- نحوها قائلاً:

- الا ترى يا سيدي.. صحة ما قلت؟!

أمر السلطان بعض حاشيته ليطاردوا -الاوز-.. فهاجموها بعصى وهراوات، وهربت الاوزة يمنة ويسرة، وكل منها تركض على رجلين اثنتين..

والتفت السلطان نحو -جحا- وقال بحنق:
- يا لك من لعين! ألا تراها تركض برجلين؟!
- صدقت يا مولاي! فلو طاردني رجالك بهذه العصى والهراوات لهربت انا منهم
بأربع!
قال صاحبي: زمجر الحاكم ساخطاً وقال:
- اسكت يا لعين! انت كلب اجر ب..
- عفواً يا سيدي.. انا لست كلباً! ولدي دليل اثبت ذلك.. فلو كنت كلباً، لكنت اعض
اقدام الناس!
- يا حقير! اتتهمني انا بالكلب؟
- ألم تكن تريد مني الحقيقة؟

حلّجيات

العدد (٢١٩) الثلاثاء ١٩ شباط ١٩٦٨

في عالم الجنون

١

يزداد عدد المجانين يوماً.. ها انا ذا منذ شهرين.. اودع الى -دار الشفاء- أو القاديين منه الى اهلهم.. مئات المجانين..

هنا.. محطة، كمحطات قوافل الاقدمين، و-السراي يقال لمثل هذه المحطة.. وهي كلمة كوردية.. تتكون من كلمتين: (سه ر) ويعني -الرأس-، و(راي) او (ري).. يعني -الطريق- أي رأس الطريق.

ويقول الكورد قديماً، لمثل هذه المحطات: (كاروان سه راي) أي -محطة القوافل-.. ويقولون ايضاً عن الدنيا ايضاً بأنها -كاروان سه راي- اذ انها تشبه المحطة التي يحط بها الناس ويرتحل عنها يوماً.. افواجاً وافواجاً..

استقبل في الخان المهجور.. -السراي العتيد- يوماً مئات الناس.. عشرات منهم مجانين، وهم احب خلق الله عندي، لأنهم -على الاقل- متحررون من هموم هذه الدنيا الباغية.. وثمة مجانين لطفاء فعلاً.. وظرفاء..

ثمة مجنون لا يفعل شيئاً، ولا يضحك، او يشتم احداً او يتحرش به.. انه يتجول ابدأً ويجمع اعقاب السجائر الملقاة على البلاط باهمال ويرميها في -المزبلة- ثم يتكور صامتاً على حصيرته الوحيدة في هذه البرودة القاسية، وينام هكذا طوال الليل..

لا اخفي انني حزنت جداً حين رحيل صاحبي المجنون الى -دار الشفاء- وكنت اؤمن بأنه ليس مجنوناً..

وجلست مع مجنونين، احدهما شاب حلو، وسيم، يتكلم، بهدوء عجيب، وبمنطق سليم ويوصي صاحبه:

- اعمل خيراً.. فسيحبك الناس! اعمل واعمل.. وستنال الرحمة!
هززت رأسي وقمت حائراً.. أي جنون هذا؟ والى أين يبعث به المجتمع؟ الى -دار
الشفاء-؟ لست اعتقد بأن شفاءه يتم بالرجة الكهربائية -فجنونه هو.. حيرة في
الأعماق..
واتذكر انني رأيت مجنوناً لا يرهب شيئاً مثلما يرهب كلمة -الرجة
الكهربائية-.. لا أدري ما نذب -الأعصاب المسكينة- كي تهزها الكهرباء، اذا
كانت العلة الاساسية للجنون كامنة في النفس، وفي المجتمع؟

حلّجيات

العدد (٢٢١) الخميس ٢٢ شباط ١٩٦٨

أنا عاشق.. فأنا ثوري..

أنا ثوري، فأنا عاشق.

لن يصل المرء كمال الروح الثورية ما لم يسمو به العشق سموً عظيمًا..
كيف يرتضي الثوري بالحياة في زنزانة متعفنة ان لم يكن طاهراً زكي الروح،
محترقاً؟!

وكيف يحتمل العيش في الخفاء، والظلام، والشقاء، ان لم تكن اعماقه جنات
خالدات؟

بل كيف يطيق حياة الغربة القاسية ان لم يكن عاشقاً؟

العاشق عظيم، لأنه يحمل على كتفيه اعظم الهموم، والعذابات من اجل
المعشوق..

من اجل ذلك، ترونني -يا اخوتي- احلج نفسي بسرعة.. لأنني اخشى التخلف
عن ركب اللحاق بركب العشاق.. فهم يصعدون القمة بشجاعة.. اتريدون اللحاق
بركب العشاق.. يا حبيبتي.

احلجوا انفسكم بلا تردد. الحياة القذرة يجب ان تتطهر بسبول من العشق الملتهب
للثورة..

متى تستيقظ الاجفان الناعسة وتتسع العيون لتمتليء بأشعة الربيع؟ كي تكتحل
عيونكم بذلك الضياء الربيعي الحنون.. احلجوا انفسكم بشجاعة.. دعوها تتعذب،
وتتألم، وتغتسل بالمطر الطاهر النقي..

اسير في الدرب الطويل.. حاملاً على كتفي الهموم العظيمة للعالم كله:

- لماذا كل هذا؟!

جنون العشق يعصف بفكري.. بشعوري، بكياني. ويهتف:
- دع هموماً متزايدة تتراكم على حملك الثقيل!
العشق يا اخوتي قوة عظيمة.. خلق الكون بها ومن اجلها، الم يكن الخالق العظيم
يعشق الكون والحياة فخلقهما^(١)؟
قصوى سعادتي.. ان اظل مجنوناً بهذا العشق، وألا ينطفئ اللهب بقلبي.. كي
تظل عيني مكتحلة بضياء الشمس المشرقة بأعمالي كل يوم، كل لحظة.
انا ثوري يا اخوتي.. لأنني عاشق مجنون.

(١) «قرأت فيما بعد ان الشاعر الكوردي الملا الجزيري كان يقول بأن (العشق عنصر
خامس» في تركيب الكون، وذلك بعد العناصر الأربعة: التراب، الماء، الهواء، والنار.

حلّجيات

العدد (٢٢٢) الجمعة ٢٣ شباط ١٩٦٨

ما لذة الحب - يا اخوتي - ان لم تجلب الجنون؟!
انا عاشق مجنون.. فابتعدوا عن طريقي، كي لا يضرم اللهب الحريق في
هياكلهم الخاوية.
تهت بجبال كوردستان، هائماً مثل الشاعر العظيم - ولي ديوانه -.. اصرخ:
اين - شه م - ي.. اين - ليلي -؟
رددت الجبال صراخاتي، وشهقت قبور الشهداء ملء سماء كوردستان:
الف - شه م -.. الف - ليلي - الف - زين - مع - مه م -.. والف - ابنة درسيم..
و-ئه خته ر- (١).. يبيتون هنا، في قلب الجبال.. يعقدون من ورود الربيع الدامية
اكاليل يزينون بها صدور الابطال الرابضين خلف المتاريس!
وقفت منتشياً بهذا النداء السماوي العظيم، وانحنيت الثم الارض المقدسة
بخشوع، ووقفت اصلي للجبال العظيمة وانا جي:
- ايتها الام الرؤوم ل-كاوه) و(زردهشت) و(مامه ياره) و(الفرسان الاثني عشر
في سهول مه ريوان) (٢).. انت عظيمة، قوية.. خالدة.. فاحتضيني، وأحميني من
وحشة ليلي المظلم الطويل، دعيني انام ملء جفوني في حضنك الدافيء مازالت
-شهم- ترقد في قلبك.. احميها يا امي، كي اظل احميك ابد الدهر.
دوت من الجبال صرخة عظيمة فانشقت عن باب واسع دخلت منه الى جنة
رائعة.

ما لذة الحب ان لم يفتت الجبال ويشق منها المنافذ الى الجنات الخالدات؟؟

(١) اسماء من أساطير وملاحم كوردية قديمة.

(٢) رموز اساطيرية واشارات لشخصيات حقيقية ورمزية في التراث الكوردي.

ترنو الي عينان ملتهبتان من خلال الظلام الدامس.. عينان صافيتان بريئتان
لايشوبهما أي حقد او ضغينة..
لن اخشى تينك العينين، انما اخشى اللهب المنبعث من قلبي. اتعلمون من هما
تلك العينان؟
انهما عينا حبيبي.. تحدقان بصمت، وما ابلغ هذا الصمت العميق إنه أعظم
رسالة ملتهبة للحب المحرق.
لم اعد اطيع هذه النظرة القاتلة لأنني ابدأ لا اطيع الحب العظيم. اتعلمون لماذا
يا اخوتي؟؟
الحب الحقيقي العظيم يقود الى بلوغي هذا الجنون، فانني اتحاشى الجنون. ورغم
لذتي العميقة في تلك النظرة.. لأنني اخشى ألا ابلغ الجنون الحقيقي بها.

حلّجيات

العدد (٢٢٤) الاثنين ٢٦ شباط ١٩٦٨

في عالم الجنون

٢

جاءني يوماً شاب في نضارة الشباب، جنّ جنونه.. حباً.
احب فتاة لم يستطع الزواج منها، فاختلطت الحياة عليه، وفقد شعورها
المتماسك بذاته، وراح يتخبط و(يخریط)..
- ما أكثر ضحايا الحب! كنت اخال نفسي الضحية الاولى.. وانا بي راكب في
قافلة طويلة مرّت وتمر بهذه (المحطة)..
رأيت شاباً يوماً أصيب بالسل نتيجة همومه اليومية لفشله في الحب ايضاً..
وهمه الوحيد انه لم يستطع الزواج من الحبيبة المسكينة التي جنت هي ايضاً..
لا يتسع المجال لسرد تفاصيل المواقف الغرامية الجنونية لهؤلاء العشاق.. انما
يخطر لي خاطر لعين احياناً:
- التقاليد المتمزّمة.. والنظام الاجتماعي المتخلف تخلفاً رهيباً يحول دون
التقاء القلوب.. فاذا كانت ضحايا الحب بهذه الكثرة الكاثرة وبهذه البشاعة.. فكم
انت كثيرة وعظيمة يا ضحايا الحرية؟ بل يا ضحايا الخبز والحياة؟
التفت حولي اخاطب حيطان السجن.. الملوثة، اسألها عن عدد الضحايا التي
تمسحت بها واضطجعت بجنبها.. وشهقت الحيطان حزينة، فانفجرت عن آلاف
القصص المفجعة، لم تستطع اعصابي التعبى تحملها، فاغمضت عيني كي اسمع
بأذني فقط، فاذا بصراخات وأهات المعذبين تهدر في دوي هائل.. فاختلطت علي
القصص فكل قصة تبتلع الاخرى، وتلاحقت الاصداء المدوية ملء المدينة ووضعت
اصابعي على اذني ايضاً كي لا اسمع، بل اشعر بحرارة لهيب العشاق فقط..
امتد اللهب المحرق، وتصاعدت السنّته، وتوهجت الجذوة المشتعلة بأعماقي

ايضاً، فنهضت ارقص بعنف وسط اللهب.. لهيب جنوني..
كادت قدماي تشلان عن الحركة، فشعرت بهما تذويان، وتتلاشيان وبقيت
اطوف بين السنة اللهب، واسبح نحو الحيطان كي اغلقها، واغلق أفواه آلاف
القصص الرهيبة.
رأيت الحيطان ايضاً غدت ترقص، وطافت على اللهب طوفان الخشب على الماء..
وحدقت من خلال الاوتاد المحترقة، لأرى اللهب غداً عظيماً جداً وألثم سجني.. ثم
امتد واتسع ليلتهم المدينة كلها.. اردت ان اصرخ فزعاً على احبتي، وسبقني اللهب
فانفجر ليغمر الوطن كله، وما اجمل السماء حين غدت قرمزية مثل وشاح احمر،
مخيم على هودج العروس ليلة (الحناء)!

حين خمد اللهب، كانت الهياكل الفاسدة فقط قد احترقت..

حلّجيات

العدد (٢٢٦) الاربعاء ٢٨ شباط ١٩٦٨

اريد الحق عظيماً عظمة الكون..

العقاب.. العقاب.. ابدأ ينهال العقاب على الانسان، ولم نجده يوماً ينال المكافأة.
يعاني عقاب مولده، فيشقى مأسوراً في سجن العالم، بدون ارادته، بدون رغبته.
ويعاني عقاب مواصلته للحياة فيزداد شقاء، حين يزداد شعوراً بالقلق تجاه
مصيره المفجع في نهاية الطريق..

ويعاني عقاب المجتمع عند أتفه زلة او هفوة..

ولعل اقسى عقاب هو ذلك الذي يناله الانسان الثوري الناضج، على يد ضميره
المعذب، فينام، معذباً، ويستيقظ معذباً، ويقضم همومه العظيمة معذباً، مرهقاً،
حين يلتفت حوله، فيرى الجحيم يبتلع الناس السائرين اليه بذلة وخنوع.
وكأن كل هذا العقاب الطويل اللانهائي ليس كافياً.. فالخالق العظيم ايضاً
يتوعد مخلوقه بعقاب ابدى شديد في العالم الآخر..

الانسان يعيش جحيم ذاته لتفكيره المتواصل في هذه العقابات الرادعة.

العقوبات لذيدة لذة عظيمة، حين يشعر بها المعاقب بإنبعاثها من الحق،
فالعقاب الحق سعادة عظمية لا يتذوقها سوى عشاق الحق..

وثمة فارق كبير بين العقاب الحقيقي.. والعقاب الظلم.. فالعقاب الحقيقي هو
الشعور الذاتي بالذنب والتقصير وما يتبعه من تعذيب عنيف للضمير، ومعظم ما
يصدر على الناس في مجتمعنا القذر من عقاب، هو ظلم كبير يرتكبه الطغاة بحجة
رفع الظلم عن الناس ودفع الأذى عنهم.

لو كوفىء الانسان على اعماله المجيدة، كما يعاقب على ذنوبه وهفواته، لما
انتفتت الجريمة فحسب، بل لأنتفى التفكير في الجريمة.. ايضاً.

كيف لا تعشعش الجريمة، كبيوض الذباب، في مجتمع قذر يعاقب الانسان
بقسوة على اقل هفوة، ولا يكافئه على مئات الأعمال المجيدة الرائعة؟ بل انه يغتال
الامكانيات والمواهب الشابة.. ويلوث الاعمال الجيدة بالوحل..
لن اصدر وصية، ولا اعط موعظة، لترجيح كفة الميزان.. انما قاعدة الميزان بنيت
مهزوزة، هزيلة، خاطئة، ويجب ان تعدل وتصحح.
اريد الحق عظيماً، رهيباً.. يعاقب الانسان من الداخل، ولن يكون كذلك، إلا حيث
يسود الحق العلاقات الاجتماعية بين الناس.. ومثل هذا الانسان لم يؤلد بعد،
وسيولد غداً.. نحن اليوم نعيش مرحلة انتقالية صاخبة من مرحلة الحيوانية
والعبودية الى العصر الرائع العظيم لإزدهار الانسانية الحقيقية..

حلّجيات

العدد (٢٢٧) الخميس ٢٩ شباط ١٩٦٨

نسقط فجأة.. ونتوقف عن كل شيء..

تحضرنا لحظات مفاجئة من الشعور بالخواء. والعبث. عبث الحياة كلها..
من حسن الاقدار، ان هذه اللحظات لاتدوم إلا دقائق أو ثوان فلو طالت، لحطمت
الحياة، وخنقت أي شعور بها، أو أي تليذ بوجودها واستمرارها.
هذه اللحظات رهيبه.. تأتي كالثغور التي تتخلل شريطاً غنائياً طويلاً، فينقطع
لحظة.. ثم يعاود الغناء.. وهل تليذ الحياة دقيقة بدون غناء؟؟
صاحبي - في السجن - يعاني منذ زمن طويل.. الإعياء والتعب والارهاق نتيجة
تفكيره المستمر في الحياة القذرة هنا.

رأيته مقطباً، مكفهر الوجه ذات يوم.. واخذ الى الصمت طوال النهار كله.. قلت:

- ما بك يا عزيزي؟

- دعني، رجاء، سئمت الحياة!

- ماذا تقول؟

- لم اعد اثق بأحد.. لم اعد اثق بشيء، ولا أؤمن بأي شيء. الاصدقاء، الاهل،
العيش، ووجودي في الحياة، ووجودي هنا، كلمة عبث، وخواء، وتفاهة، بل قذارة.
- هاه! ألم أكن أقول لك اننا نعيش القذارة؟ لكن القذارة ايضاً ليست عبثاً، انها
شيء يمكن ازالته، اما العبث فلا يمكن مكافحته بشيء.

- دعني يا صديقي.. لن اريد هذه الحياة، ارفضها بعنف، اريد ان اموت، وهذه
المرّة، حين يواجهني الأهل، سأقول لهم: أنني سأموت. لم اعد اهتم بشيء.
فلا يهمني امر وجودي ايضاً، لماذا اخشى الموت - اذن -؟!

ضحكت منه طويلاً.. وربت على كتفه مداعباً:

- تستطيع ان ترفض الحياة بهدوء ايضاً.. ارفض الأكل والشرب فستموت ببطء
وهدوء..

شعرت بعضلات وجه صديقي تتقلص، فعلمت انه سخط على الحياة القذرة هذه
غاية السخط، فقلت:

- ما هكذا تكافح القذارة يا صاحبي، ان متنا غرقى في الوحل، لن نفعل شيئاً
سوى زيادة عدد الغرقى..

- اصطدم يوماً بعشرات لحظات الشعور بالعبثية والخواء.. متسمره في
التقاطيع الصارمة لوجوه اصحابي..

انهم يعيشون الحياة.. حين يفعلون ذلك! وصاحبي ذاك يريد ان يموت حياً
بالحياة النقية، الطاهرة، الحرة في الفضاء الطليق.

كلنا هنا نعشق كل لحظة من لحظات الحياة، لذلك نرفض هذه القذارة بعنف!

العدد (٢٢٨) الجمعة ١ آذار ١٩٦٨

الجنون فنون

ثمة رجل هاديء رزين.. دخل السجن (مجنوناً).. وقيل ان زوجته هي التي اشتكت وساقته الى السجن..

لم يكن الرجل ينام.. يقف على قدميه طوال الوقت ويحسب بأصابعه، يحسب همومه واحزانه.. ويؤثر يمنة ويسرة كمن يخاطب جمهرة من الناس.. يفعل كل ذلك يهدوء وبدون أية ضجة، لم يستفز أحداً ولم يستفزه أحد.

اقتربت منه لاستمع الى حديثه.. وما اشد دهشتي حين سمعت طوال ساعة كاملة حديثاً هادئاً منطقياً جداً بدون ان تشوه أية لوثة قد تدل على (الجنون). ورقصت فرحاً انه الجنون الحقيقي..

كان مؤمناً، تقياً ورعاً وصالحاً.. مستقيماً. وديعاً.. طوال حياته.. وجنّ جنونه على الارجح نتيجة تفكيره المتواصل في الدينونة.. والكينونة وقال عن الناس في نزواتهم وعبثهم وجنونهم:

- منحهم الله ثروات طائلة، كي يسجنوا بها انفسهم، انا ثري (وكان ثرياً فعلاً).. انما لا اريد غير العلم الذي اريده.. قد نلت منالي، ولن اهتم بما يتحدث به الناس عني.. دع الناس تنزلق بها اقدامهم بإغراء ثرواتهم..

كان يشتم ليلاً بهدوء.. فسأله احدهم:

- من كنت تشتم؟!

حدق فيه ملياً واجاب، بهدوئه المعهود:

- وماذا يعنيك؟ ان لنا شؤوناً لن يفهمها غيرنا.. والعالم درجات، ولكل انسان وظيفته الخاصة في الحياة.. ولكل امريء قابلية خاصة لتحمل اعباء درجة من درجات العلم.. وما كل ما يعلمه المرء يمكن ان يقال..

قد لا تطبق معرفة ما اعرفه، وقد لا اطبق معرفة ما تعلمه انت.. والمهم بالنسبة

الى الانسان ان يبحث عن العلم الحقيقي.. وهذا العالم الذي تراه اليوم، مختلطاً
ببعضه.. مضطرباً، فاسداً، متعفنأ، منحطأ سيتطهر قريبأ عن آخره، وحينذاك
سيعود كل امريء الى موطنه، نحن هنا في غربة.. ونعود كلنا الى موطننا
الحقيقية.

صاحبي المجنون مجنون بعلمه الباطني. او ما يقال عنه. تصوف) ووجده
بالحق.. والمجتمع يلصق الجنون بكل شذوذ عن حياته الآلية الروتينية.. وما
المجانين ألاً عشاق حقيقيون غالبأ.. ومعظم العظماء -مجانين- يركبون جنونهم
حين يقفون بوحدهم ضد قوى الظلام الرهيبة.
أعتقد بأنني أكاد افهم سر تزايد عدد المجانين عندنا..

حلّجيات

العدد (٢٢٩) الاحد ٣ آذار ١٩٦٨

بعث -الحلاج- عظيمًا بكوردستان..

رأيته يربض خلف المتراس، يقظاً، ساهراً الليل الطويل كله..

عيناه تتلظيان شرراً.. وتبرق في الأفق الشرقي بروق حمراء تكسو صفحة السماء
بلهيب قرمزي رائع وتكتب:

- انا الحق!

نشر -الحلاج- خرخته المبتلة على غصن البلوط، وظل رابضاً ساهراً، يحمي
متراسه رغم الرعد والمطر والظلام..

وخلفه.. يربض آلاف الابطال.. في آلاف المتاريس، يرنون بحب وحنان نحو
الجبال الشاهقة خلفهم تقف درعاً منيعاً لا تخترقه أية قوة.

واذ بزغت بشائر شروق الشمس صباح اليوم التالي، جلس يسجد للفجر العظيم
ويناجي الضياء الحنون.. ضياء الحق:

- ايها الضياء المقدس، يا لهب (نوروز)، ابعث فينا دفئك وانشر اشراقتك الحانية
على جبالنا وودياننا وسهولنا وقرانا..

- ايها الضياء الخالد، زدنا التهاباً لنزداد شوقاً الى اللهب، الى الفجر، الى
الحياة..

زدنا نوراً، لنزداد بصيرة بنورك..

زدنا قوة لنزداد شجاعة في التحديث بجمالك..

ثم سجد ركعتين بعد ان توضع بالدم المتدفق من عينيه مع دموعه السخية..
وسجد خلفه الأبطال الآخرون وترنموا بخشوع:

- اسرعي في البزوغ يا شمس الحق! اضيئي لنا حياتنا. كي يحل الربيع بجبالنا

وسهولنا وودياننا..

ثم اتخذ -الحلاج- موضعه في المتراس، ليسهر من جديد، ريثما يشرق الشمس،
وترفع الى الضحى في كبد سماء كوردستان..

حلّجيات

العدد (٢٣٠) الاثنين ٤ آذار ١٩٦٨

في برودة الشتاء القاسية احمي بلهيب الشمس المشرقة بأعمامي.. أحس بخرقه
اللهب تمس جبيني، وأشعر بالدخان يتصاعد من رأسي.

ادوس الثلج والصقيع حافياً.. وأشق الضباب الكثيف في زحمة الظلام.. وأسبح
في البركة المتجمدة.. فيذيب لهيب قلبي، الثلج والصقيع وتبدد الشمس الضباب
المخيم على درب امامي..

نضجت ثمار حديقتي اليانعة في قسوة الشتاء القارص، وتلك هي ثمرة الشمس
الحق المشرقة باعمامي.

يا الهي، دع الاشتال (جميعها) تكبر وتينع وتثمر..

بذرنا في الخريف، وحرثنا الارض حرثاً عميقاً.

غرسنا آلاف الاشتال في البساتين والمروج..

فيا خالقي العظيم! لاتدع الجفاف يزحف على حقولنا، ولا تدع الصقيع يجمد
الاشتال اليافعة..

ابعث فينا اللهيب والشوق الى اللهيب، لنبعث الدفء في الجو، ونهزم البرودة.

نم نم نم

يا نديمي املاً كأسى بخمرة الحب..

ان قلبي العاشق المجنون لا يبالي بأهوال الايام، ويحتفل بالعرس في هذا
الشتاء الموحل المظلم..

يا نديمي.. دع النشوة تطيح ببقايا شعوري، فلم اعد اطيق هذه الحياة القذرة
بزنزانتني المتعفنة.. تنقل لي النسمات وقع اقدام القادمين الجدد.. قالوا انهم
ليحطموا اقفالي، ويحطموا اساري..

انطلق قلبي يرقص بفرح ونشوة، ليستقبل القادمين الجدد من أرض الشمس..
التهمة اللهيبي، فخرج للإستقبال محترقاً.. وغدا كشملة متوهجة تتلألأ في الافق
الشرقي القرمزي.
اسقني -أيها الساقى- ودع قلبي يزداد جنوناً بعشقه.. دعه يفرق في بحر
جنونه حتى يفنى فيه.
ما لذة الحب ان لم تجلب الجنون؟! أنا الآن -يا اخوتي- أعيش هذا الجنون.. أحب
شعبي العظيم حباً جنونياً ملتهباً، والشمس المشرقة باعماقي.. بزغت في أفق هذا
الحب.

حلّجيات

العدد (٢٣١) الثلاثاء ٥ آذار ١٩٦٨

هل ثمة شيء يستحق ان يضحي الانسان في سبيله في هذا العالم؟؟ ان لم يكن هناك ثمة شيء فالحياة لا تستحق غير الرفض..

نحن نعيش رغم كل شيء.. ونتنفس حياتنا اليومية منسابين في جدول العمر كميّاه الينبوع نحو المصب العظيم: الموت، بلا توقف.

نحن نعيش رغم انفسنا، واحتمال العيش بهذه الحياة، هو بحد ذاته تضحية كبيرة، اذ اننا نحرق يومياً طاقات فكرية وجسمية جسيمة، ونسبب في تلف ملايين الخلايا العضوية.. ونحتمل هذا الدوران اليومي المستمر حول انفسنا وحول الشمس.. فنحن نضحي اذن.. فما هو الشيء الذي يشدنا بالحياة كي نضحي من اجلها فنسجن الروح الطاهرة في هذا القفص القدر من اللحم والعظم؟؟ هل هناك تضحية أعظم من التضحية بالروح وبسجنها؟

اين ينبوع التلذذ باحتمال هذه الحياة؟

ورغم اسئلتني المرهقة.. التعبى.. فاننا نعيش ونتنفس الحياة. ويبدو اننا محكومون بذلك. وهل على المحكوم ان يخضع للقيود الى الأبد بدون ان يسأل يوماً:

- لماذا انا هنا؟؟

فهل ثمة شيء يستحق ان نضحي من اجله.. اذن؟

- يا روحي التعبى.. أنا أدري بأنك عطشى الى ذلك الحب العظيم الذي لا يقوى سواه على رد الطمأنينة اليك.. وانا ادرك مبلغ قلقه العظيم، والمك القاسي المؤبد..

أليس الحب يولد الألم؟ وليس الحق يولد بالعذاب؟

يا روحي المتمردة على قيود سجانك.. ألم تبلغني بعد شاطيء الأمان؟

انظر حولي.. فلا أرى سوى الركام، والبشرية المعذبة تعاني آلام المخاض.. إنها
الميلاد الجديد، سيولد الانسان الجديد.. لن تسجن فيه الروح، ويعيش بصفاء من
أجل الصفاء والنقاء..

ورغم ذلك.. لم ازل مؤرقاً، يا اخوتي.. ما الذي يستحق ان نضحى من أجله؟
عندي ليس في الحياة ما يستحق ان نضحى في سبيله سوى الحق.. حب الحق..
هذا الحب العظيم البهيج.. لماذا يعيش الآخرون؟ لماذا يضحون؟

حلّجيات

العدد (٢٣٣) الخميس ٧ آذار ١٩٦٨

لاتنظر الى الارض دائماً.. ارفع بصرك نحو السماء أحياناً..
ما أعمق زرقة السماء الصافية؟ هل كل صفاء ازرق؟
أياً كان لونه فليس في العالم جمال حقيقي سوى جمال الصفاء. وصفاء
الجمال.

كل شيء حقيقي وصادق هو جميل. والنظافة ايضاً جميلة.
يمور الناس بينهم تشدهم الى بعضهم علاقات واهية زائفة. علاقات الرياء
والكذب والخداع والشك والحذر.. فالذئب لا يأمن العيش بين قطيع الذئاب.
وهذا الضباب الكثيف من الزيف والقذارة، يحجب عني الصفاء، كالغيوم الداكنة
التي تتسارع متحلقة نحو اقصى الشمال.
ورغم ذلك ابحت عن الصفاء في يقظتي وحلمي.. وأثناء الليل.. واطراف النهار..
لأنني أحب السماء الفسيحة الزرقاء، فان الصفاء عندي ازرق شفاف، يحيطه
سواد اخضر ينتهي بلون غروب الشمس، وتتالي بعد ذلك الألوان الزاهية للقوس
القرح، وعند ذلك تنتهي حدود الكون ويبدأ العالم الحقيقي الذي تسبح فيه الروح
حرة طليقة بهيجة، وتحب بعمق، وينتشي بخمرة الوصال.. وصال الحق.. الحبيب
الخالد.

أتريدين السمو نحو المعراج الروحي للحلاج؟
حسناً.. ابدأوا بطلح انفسكم، واولى الخطوات ان تنظروا نحو السماء ملياً وتتأملوا
هذا الصفاء الجميل حين تسطع الشمس ملء الكون..
القلب.. محراب عظيم، يلزمه ان يتطهر، فالتأمل الطويل في سمو جمال السماء
الزرقاء الصافية اولى خطوات هذا التطهير.

والسماء واسعة بلا حدود، وعميقة بلا قيعان.. وان يتطهر القلب، ينكشف له هذا الضياء الحنون، لينفذ الى اعماق الكون والحياة، فيولد فيه الحق عظيماً عظمة هذا السماء وسموها.

ان تغزوني الهموم الثقيلة، احدث في زرقة السماء، فتنزاح الهموم عنِّي وتذوب، فما اتفهم الانسان ان هو سجن ذاته في اسار الهموم والسماء الواسعة العميقة كلها ترنو اليه وتهتف به كي ينشد أناشيد الحب!

حلّجيات

العدد (٢٣٦) الخميس ١٤ آذار ١٩٦٨

أعماقي تمور كبحر هائج.

ما لهذا الركود الرهيب يلف حياتنا القذرة؟

الشعلة الابدية الخالدة لن تنطفئ. بل للدموع العظيمة التي تخلق الحياة..

حبي العظيم المخنوق في الجسم القذر.. يجأر بالشكوى..

العيون الدامعة ترنو اليّ من كل صوب، من الجدران والسقف والسماء..

والخناجر المسمومة، مشهورة عارية تحدد بي من كل جهة، الحياة القذرة عيون
دامعة وخناجر مسمومة وآلام.

أيه! يا خالقي العظيم..

الموت ليس رهيباً. احتمال هذه القذارة من أشد الأمور رهبة!

دع الآلام والهموم العظيمة تطحنني طحناً دقيقاً. دعني اتجرع السموم من

انصال الخناجر حتى تتفكك اضعلي واشلائي..

اين اجد الصفاء الحقيقي.. فانال لحظة من نشوة الاطمئنان الروحي؟؟

ارنو بعيني المتعبين نحو السماء الزرقاء الصافية: اين بي منها يا خالقي

العظيم؟

بشائر الحق غدت تشرق باعماقي من جديد. كنت انما قذراً.. مارست القذارة حين

قفلت الباب على نفسي وتكورت قانعاً بحقارة العالم. وهذه الاشراقة الجديدة بعثت

الدفاء في عالمي، وهل تنتشل روحي الغرقى من هذا الوحل القذر؟؟

يا حبي.. يا خالقي العظيم..

انا عطش عطشاً محرقاً.. أين ارتوي حتى الثمالة من نبع حبك الصافي؟

هل ثمة أمل في الخلاص؟ لا أكف لحظة عن التفكير في ذلك؟ هل يمكن الخلاص؟

لن يتم ذلك قبل ولادة الانسان الجديد.. الحقيقي. بدأت اقطع بقايا علائقي بالعالم
الراهن.. انه عالم قذر متسخ يجب ان يباد ويموت.
اغفر لي.. يا حبي المقدس.. فالشيء الأساسي الذي يمور بأعمامي مازال عاجزاً
عن الانطلاق الى قلبي، ما هذا الذي يؤرقني من الداخل؟
ما هذا الذي يكبلني من الأعماق؟
انا أعرف بأن الحرية تولد من الداخل، وكذلك الاطمئنان. فهل ثمة أمل في
الخلاص؟؟

حلّجيات

العدد (٢٣٧) الجمعة ١٥ آذار ١٩٦٨

الكون العظيم يدور بلا ضجر أو ملل أو تعب. والصخب من نصيب الارض المنكوبة وحدها.

سني تؤلمني منذ شهر، وأحالت نومي الى كوابيس مزعجة.. يا للحياة النقية من حلم لذيذ!

السماء الزرقاء الصافية ترنو الى الارض برفق.

وعبثاً أنبش هذا الركام للناس على الارض.. اذ ابحت عن الصفاء والنظافة في العلاقات بينهم.. وكلما اوغلت في التفكير، تبين لي مدى خواء العلاقات الراهنة بين الناس في مجتمع العبودية والحيوانية..

لم يزل الانسان غارقاً في الوحل الى النصف.. والانسان الجديد يولد احياناً فينطلق كالشهاب إنطلاقة خاطفة، ثم تخبو في الافق.. ورغم ذلك سيولد.

أضحيت أشيخ قبل الاوان.. مبكراً، وخلقت فصلاً مرهقاً بالعذاب والأسى.. والطيش والغرور.. مات الشباب الكاذب، وولد باعماقي شبابي الحقيقي حين بعثت اليوم بجلدي الجديد.. عاشقاً للحق.. حبيباً مجنوناً، التحف السهام وانتقل النار والشوك..

الحب العظيم يخلق الانسان، يا حبي العظيم! يا خالقي.. دعني اتألم واتلوى بعذابي الى الابد، لا أرى الآن حولي صورة من اشراقه الحقيقية. الحق مصلوب مخنوق في القذارة. العالم يلفه ضباب الزيف والكذب. الجزارون انتهكوا براءة العالم. وعبثاً ابحت عن الاطمئنان الروحي الحقيقي في هذه العلاقات القذرة..

يا حبي العظيم.. يا خالقي!

الاغنية العظيمة التي يردها العالم اضحت خافتة.. وقلبي العاشق المجنون يجوب الآفاق محترقاً..

الترنيمه الصافيه تأتي متهامسه، فالصخب المجنون يخنق جميع الأغاني
والتراتيل الصادقة.
هذه الهمسه ايقتني ومنحتني حلماً لذيذاً حقيقياً منح حياتي الراكدة خضرة
ربيع الحب. من أجل هذا الحب اعيش.. وبه أحيأ.

الفصل الرابع

حلّجيات

العدد (٢٣٩) الاثنين ١٨ آذار ١٩٦٨

- (يا اخوتي.. انا اغني لمن يفهمون)..

المطرب الكوردي الراحل العظيم (خاله سيوه) ترعرع في حزن مدينة كويه- كويسنجق) التي انجبت فطاحل الشعراء الكورد (حاجي قادر كويي)، (دلدار)، (دلزار)، وغيرهم، وراح يبث اغانيه السامية بأجواء كوردستان، فيجتمع حوله الناس في المنتزهات الربيعية، سكارى بالحانة الشجية.. وصوته العذب الجميل.. وحين سجل أغانيه واشتهرت، اراد البعض ان ينالوا منها، فرد عليهم -خاله سيوه-:

- (يا اخوتي.. انا اغني لمن يفهمون).

وفي اغانيه فلسفة حياتية عميقة مشرقة:

- (يا اخوتي.. انظروا الى الشرق.. حيث بزوغ الشمس).

- (عيشوا بصدق.. فالحياة فانية، والموت عند العتبة!).

تمتزج بصوته الطو نبرات تذكر الانسان بألاف الأغاريد والانشيد التي تصدح ملء غابات كوردستان الجميلة.. وحين يغني (سه حه ر -سه حه) فان المرء يذكر -الفجر- رأساً، بل ويعيش تلك اللحظات الجميلة من -السحر-.

وهل هناك في العالم كل ما هو اجمل من الفجر حين يطل على كوردستان!؟

واللحن الهادي، العميق لهذه الاغنية.. اغنية -السحر- هو لحن المتصوفة في مواجهة الروحانية كل فجر، حيث يجلسون مبتهلين، متبتلين، منذ بزوغ بشائر الفجر الى شروق الشمس..

فالإبتهاال الى الله أيضاً لا يقرب الانسان من خالقه مثلما يغسله حين يتم في

ساعات الفجر.. فأية عظمة -أذن- في هذه الاغنية الروحية العميقة التي تنادي
بكل كلمة من كلماتها.. ويلحنها وترتيلها، تنادي كل انسان الى التمتع بلحظات
الفجر؟!؛

وصوت -خالة سيوه- يذكرني بكوردستان.. بجمالها وخلودها وعظمتها
وطبيعتها الساحرة.. لأنه يذكرني دائماً بالسحر.. وكوردستان هي فجرى المشرق
عند كل سحر..

رحل المطرب العظيم الى عالمه الخالد، وظل صوته العظيم يداوي جروحي
ببلسمه الشافي، ويعزف على أوتار قلبي العاشق بحب الحق.. حب الجمال.. حب
شعبي وكوردستان.

الانسان عظيم حقاً، يقهر الموت ايضاً.. فهذا هو جسم الطرب قد غدا ذرات من
التراب، وأكلته ديدان الأرض، بينما ظلت روحه العظيمة تشدو ملء اعماقنا،
وتغني.. وتغني..

و(أن المطرب كان يقول: دعنا نستهلك حياتنا كلها لخدمة الشعب واسعاده.. اما
الجسد الفاني فليكن من نصيب التراب.. يضمه ويفنيه!).

حلّجيات

العدد (٢٤٠) الثلاثاء ١٩ آذار ١٩٦٨

انا صوفي عاشق في القرن العشرين.. ورغم ما يقوله كثير من أصحابي:

اتريد العودة الى القرون البدائية بهذا التصوف؟

فإنني ما زلت أتعبد في خلوتي مترتلاً بأناشيد الحلاج.. فإنني - مع بقية الصوفية في هذا العالم - اضع لبنة الانسان الجديد.. وأبذر بذور انسان القرون القادمة. وامتلك الوعي الكامل لما افعل..

التصوف هو اعلى مراتب السمو الروحي والفكري الذي بلغته البشرية، فألاف الثوريين الحقيقيين العظام.. هم صوفية هذا العصر، يواصلون السير في هذا الدرب المتعب نحو فجر الانسان الحقيقي.

ان السمو الروحي العظيم الذي يبلغه الثوري الحقيقي بجهاده وتطويره الذاتي لملكاته وتطهيره الذاتي لنفسه، وتنظيفه لثقافته.. وتحرير نفسه من جميع الضغوط والمغريات التافهة والحقيرة والقذرة للمجتمع الحيواني الراهن.. هذا السمو هو ذاته الذي يبغيه نهج الحلاج.. وهو النهج الصوفي النقي الخالص.

- من يبني الانسان الجديد؟ من يبني إنسان القرون القادمة؟

لن يبنيه سوى انسان متحرر من قذارة ومغريات العصر الغارق الى نصفه في وحل العبودية والحيوانية، والجهاد الروحي هو غاية كل جهاد.. والسمو الروحي هو الغاية الوحيدة لهذا الكفاح الطويل الشاق للحياة البشرية.

تسامي (الوعي) وتطوره هو ذاته.. تسامي (الروح).. انها نفس القوة ونفس الوضوح والقوة في البصيرة واستلهاهم الحق.

الصوفي.. يجاهد لتحرير روحه واكتشاف الحق. واذ يبلغ مرتبة الحق، يواصل كفاحه البطولي حتى يحل (نوروزه).. فينتصر الحق أو يستشهد، وفي كلا الحالتين، يحل ربيعه الحقيقي، لأن انسانيته تخضر وتتفتح وتزدهر منذ إكتشافه للحق.

انا صوفي. وأؤمن إيماناً جازماً بأن البشرية ستتدمر وتفنى الحياة على الارض،
إن تخلف السمو الروحي عن تطور الوسائل الترفيحية للناس.
الطريق الوحيد للخلاص.. هو بناء الانسان الجديد المتطور روحياً.

حلّجيات

العدد (٢٤١) الاربعاء ٢٠ آذار ١٩٦٨

نحن، صوفية هذا العصر.. نسرّع الخطى نحو التحرير النهائي للإنسان.

مِمَّ يتحرر؟

الحرية الحقيقية تولد من داخل الانسان، حين يكتشف الحق ويمتلئ به قلبه. ومنذ فجر التاريخ الى اليوم كانت الظروف الخارجية المحيطة بالإنسان، تعيقه وتكبله وتصرفه عن الكفاح للحصول على حريته كإنسان.. أي على انسانيته. ان ما يميزني -كصوفي للقرن العشرين- عن الصوفية المبدئيين، انني اولي اهتماماً رئيسياً لتوفير الشروط الخارجية لولادة الحرية.

الحرية هي إدراك الضرورة. وهذه المقولة ترادف معتقدي بأن الحق هو فجر الانسانية.. حيث يمتلك الانسان في نفسه القوة والشجاعة والارادة، لعمل ماهو ضروري -وهو ضروري فعلاً- وعمل ماهو حق -وهو حق فعلاً.. وتجنب ماهو قذر وفساد -وهو قذر وفساد فعلاً- ولايتجنب القذارة خوفاً من العقاب، بل لأنها قدرة بالفعل. فحين تولد الحرية يموت الخوف.

الخوف مازال هو القيد الثقيل الذي يكبل الروح، وبالتالي يشد الانسان بأحوال العبودية والحيوانية.

تحرر الانسان من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الثقيلة التي تشكل شروط عبوديته.. هذا التحرر هو اولي بشائر فجر تحرر الانسان تحرراً نهائياً. ولايكتمل التحرر إلا بالسمو الروحي نحو آفاق أوسع من الافق الراهن لعالم الانسان.

يعاني الانسان اغتراباً عن مجتمعه.. عن واقعه القاسي كله، وهو انعكاس لذلك التناقض العنيف بينه وبين هذا المجتمع، لذا نراه يعيش حذراً متشككاً خائفاً من الآخرين دائماً وكأن وجودهم -هو بالفعل جحيم له- او كأن مجيئهم الى العالم

يسلبه حياته وهناءه وراحته.

هذا القلق القاتل من وجود الآخرين، هو قلق الروح واغترابها في عالم غريب عنها، يسجنها ويعذبها. ولا اعتقد بأن تحرر الانسان يعني فقط.. تحسين ظروف أكله وشربه ومناامه.

حلّجيات

العدد (٢٤٢) الخميس ٢١ آذار ١٩٦٨

وجاء في رسالة قدمها وفد من الكهنة الكاثوليك في أمريكا اللاتينية رسالة الى المؤتمر الثقافي في هافانا:

..(لعلمنا.. ان الامبريالية في الوقت الحاضر وخاصة في العالم الثالث، هي عامل تدمير للإنسان يحطم مبادئ الكرامة الفردية، ويقف ضد التعبير الحر عن الثقافة ويعرقل الانماط السليمة للتطور الانساني، ويكرس ظروف التخلف التي تصبح أكثر حدة واضطهاداً كل يوم..

- فاننا نلتزم.. بالنضال الثوري المعادي للامبريالية حتى نتأجه الأخيرة من اجل تحقيق التحرير الكامل للإنسان ولكل الناس.. ونعارض كل شكل للاستعمار والاستعمار الجديد لأنها نتيجة للإمبريالية التي تغرب الانسان وتفقد انسانيته). وهذا الوفد (الكهنوني) مكون من اربعة آباء من كولومبيا واورغواي ومكسيكو والدومنيكان.. وانخرطوا في صفوف (المناضلين الثوريين)، مؤمنين بالعنف ايضاً، فالحب دائماً وليد العذاب العنيف.. وهم يقتفون اثر (الاب كاميلو توري) الشهيد.. الذي -حسب ماجاء في رسالتهم- (اعطى في بحوثه من اجل القضية الثورية أحسن مثل للمتقف السجي الملتزم بالشعب).

الالتزام بالحق يقود دائماً الى الموقف الثوري الصحيح، ومن أجل هذا يتحول رجال الدين في عصرنا الى ثوريين.. فالرهبان البوذيون يحرقون انفسهم احتجاجاً على طغيان الامبرياليين.. وغاندي يصوم احتجاجاً.. والمهم في جميع الاحوال ان -يحتج- الانسان ضد الواقع القذر. والجدير بالباحث عن الله ان يحتج ضد كل قذارة، والتواكل مرض خطير يغرزه بعض رجال الدين في النفوس وفي انفسهم قبل كل شيء. السعادة الحقيقية هي في الوصال.. وصال الحق، ومتى وصل الحبيب الى محبوبه يهون تجرع كؤوس العذاب؟ هؤلاء يقفون عند الطقوس

ويأخذونها غاية.. فيتكلسون.

علي بن ابي طالب (رض).. من أعظم الثوريين في التاريخ، وكان من أشد
المؤمنين تمسكاً بالحق، ولم يغمد سيفه يوماً، بل ظل شهوراً دفاعاً عن الحقيقة.
الجوهر الحقيقي للأديان هو حب الحق والحب.. واذ هما مخنوقان في وحل
عالمتنا الراهن، يلزم العشاق الصوفية ان يخوضوا النضال الثوري بعنف.. بلا تردد.

حلّجيات

العدد (٢٤٣) الجمعة ٢٢ آذار ١٩٦٨

ثلاثة من الصوفية احتفلوا بـ(نوروزهم) في احراش فيتنام، ورحلوا الى العالم الخالد العظيم.. بأرديتهم الحمراء..

صوفية هذا العصر عظماء في نقائهم وتضحيتهم وصمودهم وحبهم للحق.. عظمة الحلاج اذ صلبوه وهو يضحك.. بل ويفرح فرحاً طفولياً:

- (فمماتي في حياتي وحياتي في مماتي).

جاء خبر من فيتنام.. خلال المعارك العظيمة الأخيرة:

(.. ان القوات الامريكية عثرت على ثلاثة ثوار قتلى في احد المراكز العسكرية، وقد ربطوا انفسهم بالسلاسل الى مدافعهم من أجل أن لا ينسحبوا أو يتراجعوا مهما كلف ذلك من ثمن..).

اطلت امرأة في القرية البوليفية تحرق في وجه جيفارا (المسجي.. فصاحت:

- ما اجمله يا الهي!

كان (جيفارا) يبتسم بعد موته.. وترتسم على جبينه هالة مشرقة من الانشراح العميق، انها سعادة الروح حين تتحرر وتسمر الى عالم الجمال الحقيقي الخالد.

- انا الحق! انا الحق!

نفس الصيحة الخالدة (للحلاج) تتردد اليوم في آفاق الارض، ويبعث الصوفي في هذا العصر.. فهو.. الثوري والفدائي والفنان الصادق.. ونفس النهج الصوفي الذي رسمه (الحلاج) للوصول الى معراج الحق، يسلكه صوفية هذا العصر.

كثير من أعمال هؤلاء الصوفية توصف (بالبطولة) و(الاسطورة) و(المعجزة) بل.. وينعت البعض بطولة (ثوار فيتنام) بانها (بطولة اعظم من البطولة).. وسألت:

تم هل هناك بطولة اعظم من هذه البطولة الاعظم؟؟

لم يرد احد.. وانا ادري بأن احداً لن يرد.. ولدي السرّ العظيم وراء هذه البطولة..
فهناك يكمن سرّ حقيقة بسيطة:
تم هذا ما يلزم ان يكون عليه الانسان! ان جميع هؤلاء الصوفية لم يفعلوا أكثر
من إتباع نداء الحق الوليد في أعماقهم الى النهاية.

حلّجيات

العدد (٢٤٦) الثلاثاء ٢٦ آذار ١٩٦٨

اكتشف الانسان اسراراً كثيرة فاستخدم من اجل سعادته هذه الاسرار التي انتزعها من الطبيعة، لكنه لا يعلم كيف يتمتع تمتعاً كاملاً بمنجزات فتوحاته العلمية والفكرية والنفسية، ولن تنقذه من الهلاك سوى فلسفة الحق.

وجميع التطورات العاصفة للنشاطات البشرية في هذا القرن، تخدم هذه الفلسفة وتؤكدها. انتهى علم النفس اخيراً الى ان (غاية الانسان وطموحه الرئيسي في حياته هو رغبته الدائمة لإكتشاف معنى لحياته). والحق هو المعنى الأساسي والوحيد لهذه الحياة.

– لماذا نحيا؟

– من اجل أن نكتشف الحق ونعيشه.

يعني: ان نسمو ابدأ.. ان نبلغ الكمال، وليست للكمال حدود نهائية، فهي واسعة عظيمة، عظيمة الكون.

وهذا الذي وصله علم النفس يدحض ما يراه (فرويد) من ان الانسان (مشكلة جنسية).. او ما يراه بعض الفلاسفة من ان الانسان جزء من المادة فحسب، او مجرد كائن بيولوجي يكمل حلقة التطور البيولوجي على الأرض، او ما يراه الآخرون من انه في تطوره وانكماشه، نجاحه واخفاقه، مجرد ورقة في شجرة المجتمع تحركها ريح الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

كلا! الانسان اسمى وارفع.. انه ضمير الحياة، ويمثل الحق علي الأرض، فالحياة ذاتها – حياة الانسان أو حياة أي مخلوق حي آخر – تضم في اعماقها تلك الدرّة العظيمة التي تحوي سرّ الخلق.. سرّ الوجود. لأن الحياة ولدت بالحق.

فالإنسان لا يعيش فقط كي يمارس الجنس ويتناسل، ولا يتطور الوعي بدافع الجنس وحده، ولا يتطور العلم بالجنس، فليست على كوكب الزهرة فاتنة حسناء،

وليس هناك ملهى على القمر، كما أن الانسان لا يحيى للمحافظة على النسل
الانساني فقط أو لأنتاج الغذاء ووسائل الانتاج ثم تركها للآخرين.. والرحيل الى
العالم الآخر. ان غاية الحياة هي السمو نحو الكمال.. وفلسفة الحق هي بوصلة
الوصول الى الغاية العظيمة غير هذا التطور العاصف للبشرية.

حلّجيات

العدد (٢٤٧) الاربعاء ٢٧ آذار ١٩٦٨

وضعوا عصفوراً بقفص مصنوع من الاسلاك الدقيقة.. سألوه:

- كيف ترى الدنيا؟

لا ارى في الدنيا غير الاسلاك..

قلبي يحترق.. فلا ارى حولي غير اللهب.. والدخان..

العاشق المجنون لا يستكين إلا في حضان العذاب.. يدوس الشوك حافياً، ويصارع العاصفة في الفلاة..

قدرأ، لا تتنفس فيه سوى الصفادع -يا اخوتي- فالحياة غدت وحلاً.

دعوا النار تلتهم الزرع والضرع والسلاحف والديدان المتطفلة..

انا اعلم -يا اخوتي- بأن حقولنا ايضاً سيلتتهما الحريق، وسيلتهم دورنا واعشاشنا الجميلة..

العاشق لا يرقص إلا في ارض اللهب.

لن اريد ان اروى عطشاً الى الحب.. وخمرة الحب، عذاب وهموم وبؤس وشقاء..
وذروة الانتشاء ان يلتهب اللهب.

تنقل لي الريح الباردة ترانيم المنشدين:

تم ايها الساقى! اسقني.. واسقني قبل رحيلي النهائي حيث خلاصي الحقيقي..

الف - حلاج- جلسوا.. يرتلون بخشوع مواجيد العشق والوجد..

بعث (عمر الخيام) منتشياً ووقف يرتل:

(زجاجة الخمر ونصف الرغبة)

وماحوى ديوان شعر لطيف

احب لي ان كنت مؤنساً
من كل قصر في علاء منيف).
واختال سكراناً بحبه العظيم، بين الجمع المنتشين، واختطف الكأس من الساقى..
فتجرعها عن آخرها، حتى انطرح تعباً.. ونهض آخر يصرخ ملء فيه:
(ما في الجبة الا الله)
قتلوه.. آنذاك وقالوا عنه:(ملحداً).. فقال عنه شاعر:
(صارت حفنة دمه الأحمر
رمز مداد الأشواق
رمز مصير للعشاق
صارت حفنة دمه الأحمر
رمزاً يعلي شرف الكلمة
نوراً يجلو قلب الظلمة
قمة قمة
في ابراج النور الاعظم
لم لم يفصح هذا العم؟!)

حلّجيات

العدد (٢٧٩) ٧ آيار ١٩٦٨

يقول (ريد):

ان ما يجعل الفنان فناناً انما هو قدرته على التسامي بنفسه فوق مستوى الاحساسات الفردية (وان من شأن الفن ان يمدنا بضرب من السيطرة الادراكية على العالم). (يشعر الفنانون انهم يستخدمون لغة لا علاقة لها على الاطلاق باللغة الادبية، لغة التصورات او المفاهيم، وان كان في استطاعة هذه اللغة التعبير عن اعمق الحقائق الوجودية الا وهي تلك الحقائق التي لاسبيل الى التعبير عنها بلغة المفاهيم او التصورات).

(النشاط الفني لا يبدأ إلا حينما يجد المرء نفسه وجهاً لوجه امام العالم المرئي وكأنما هو بازاء شفرة غامضة او حقيقة مجهولة مغلقة بالأسرار. وهنا تجيء الضرورة الباطنية فتملي على الفنان استخدام قواه الذهنية من أجل التصارع مع تلك الكتلة الغامضة المهوشة المائلة الى العالم المرئي، فلا يلبث ان يعمل على تشكيلها وصياغتها في صورة ابداعية).

(ان الانسان حين يقدم على ابداع أي عمل فني فانه انما يقبل على معركة يصارع فيها الطبيعة ولكن لا من اجل وجوده المادي بل من اجل وجوده الذهني). (ان بداية العمل الفني ونهايته تكمنان في عملية ابداع تلك الأشكال او الصور التي يستطيع الفنان من خلالها الوصول الى كبد الوجود). (الفن يجيء فيقدم لنا العالم نفسه وقد اعاد خلقه الوعي الفني..).

(فالفن يبدع اشكال تلك الموضوعات التي لم توجد بعد بالنسبة الى العقل البشري، ان يجيء النشاط الفني فيخلق عليها ضرباً من الوجود بعد ان كانت مفتقرة الى الشكل والصورة). (الفن يرقى من الشيء المختلط الذي لاصورة له، الى الشيء المتحد الذي اكتسب صورة، محققاً كل معناه الذهني في صميم هذه العملية).

(ان في التعبير الفني لغة رمزية اصيلة تعيننا على الكشف عن بعض الجوانب الخفية من تجربتنا الحية، مما قد لاتنجم التصورات العقلية في ازاحة النقاب عنه). وهذا مما يظهرنا على ان حدود اللغة ليست هي بالضرورة الحدود النهائية لخبرة البشرية). واذن فان (كل فن عظيم انما هو بالضرورة.. نشاط ذهني اصيل كل الاصاله، مستقل تمام الاستقلال عن كل ماعداه من ضروب النشاط الذهني، بما فيه الفلسفة او التفكير العقلي القائم على - التصورات).

حلّجيات

العدد (٢٨٥) الجمعة ١٤ حزيران ١٩٦٨

في كل العصور عانى الباحث المخلص عن (الحق) عزلة اجتماعية مقبلة، رغم انتصاره في النهاية وتساميه على فجور الدهر. وما أكثر ما يتعذب عاشق الحق في حياته، ويتجرع أخطر سموم الشقاء وإذا به يظل عظيماً خالداً من بين الركاب بعد قرون من التجاهل والنسيان.. وهذا ما عاناه -الحلاج- معاناة دموية..

ويقول الشاعر -هوسمان-:

(اضعف الميول البشرية هو حب الحق)، والكاتب الفرنسي -رومان رولان- يرى بأن الذين يخلصون في طلب الحق قليلون جداً.. ويقول الشاعر الفيلسوف -ابوالعلاء المعري- عن الحق:

غلب المين، منذ كان، على الخلق

وماتت بغيظها الحكماء

والبحث المخلص الجاد عن الحق هو نسغ خالد يمتد منذ فجر ولادة الوعي لدى الإنسان وسيمتد الى ما لانهاية.. وهو درب طويل ترسمه علامات هنا وهناك، وهذه العلامات ألوية دامية مغروسة بإمتداد الدرب، وهي تشير الى الشهداء، صرعى الحق، والمنحورين على مذبحه..

ولم يعرف الانسان بعد.. حياً اسمى من حب الحق، فلم تبلغ التضحية في سبيل أي شيء، ما بلغت التضحية في سبيل الحق من جلال وروعة وعظمة.

الفيلسوف الشاعر الايطالي -برونو- عاش في القرن السادس عشر، أي في عصر سيطرة محاكم التفتيش على أوروبا، حيث كان الناس يحرقون، وبعضهم الآخر يشنقون او تقطع رؤوسهم.. وامتألت عشرات المعتقلات والسجون بمن كان رجال الكنيسة يسمونهم بالملحدين والخارجين- على الدين!!

شب وكبر -برونو- متمرداً يهاجم التعصب الذي يشل المواهب ويجعل القلوب

فظة، قاسية، وخاصةً في عصره الذي كان الناس فيه يتقاتلون مدفوعين بتعصبهم.

وأولى بشائر وثبته الفكرية، مجادلته لرؤسائه اثناء وجوده في الدير ثم اعلانه بقبول ما قاله -كوبرينكوس- من ان الأرض كروية تدور على محورها وتتحرك حول الشمس، وكان هذا الرأي بوحده كافياً للإدانة والحرق..
وانطلق -برونو- باحثاً عن الحقيقة في كل ظاهرة من ظواهر عصره..

حلّجيات

العدد (٢٤٨) الخميس ٢٨ آذار ١٩٦٨

ما هذا الذي يتألم في الانسان؟ لعنني بلغت عتبة الحق العظيم.. ان انكشف لي سرّ جديد:

- الروح هي التي تتألم وتتعبذ، ولا يشعر الجسد بأي شيء. فالسعادة والعذاب.. هي سعادة وعذاب الروح.

رجل سجنوه وقطعوا اشلاءه عضواً عضواً بالمنشار، فلم تنطلق منه صرخة ولم تخطر في ذهنه خاطرة لخيانة رفاقه.. ان كان جزاروه يطلبون منه ان يتحدث.. ويفضي اليهم بأسرار الرفاق. ظل الرجل صامداً.. سعيداً بهذا العذاب الأليم. وتساءلت: ماهي القوة التي تدفعه للصمود هذا الصمود الباسل؟

- انها قوة الروح.

وان تتحرر الروح، وتسمو نقية طاهرة، فان جميع آلام العالم وعذاباته لا تستطيع ان تقهر الروح مهما نالت من الجسم الفاني.. فالجسم زائل تافه قد يسجن الروح اذا صار الانسان عبداً لجسمه، فما اقوى الجسد ايضاً اذا تحررت الروح؟! الروح تعشق دائماً.. تعشق الحب والعتاء والتضحية عشقاً ملتهباً.. فحين تمتلك حريتها في الانطلاق، فانها تضحي حتى الاحتراق.

لا املك سراً آخر لمعرفة عظمة صمود الانسان ان يصلبونه ويحرقونه.. او يعذبونه تعذيباً فظيماً بطيئاً.. يقطعون في كل يوم جزءاً من جسمه، او يربط الانسان مدفعه كي لا يهرب من الموت، فيقهر جسمه بقوة روحه كما فعل ثوار فيتنام الثلاثة..

ولعل سراً دفيناً آخر من العوامل القوية لروح التضحية لدى الفيتنامي البوذي.. ان انه يؤمن بالتناسخ، فهو ان يموت اليوم ستعود روحه غداً ثانية لتتقمص جسم إنسان آخر.. فالموت ليس رهيباً.. والذي يفنى هو هذا الجسد الزائل فقط. واياً كان

سرّ هذا الحب العظيم للتضحية، فإن السرّ الأعظم هو حب الحق.. وتمكنه من القلب حتى أعمق الأعماق مما يصير درعاً عظيماً من الداخل.
بقي الروح من الخوف.. أي خوف من أي عذاب خارجي مهما كان قاسياً.

حلّجيات

العدد (٢٥٠) الاثنين ١ نيسان ١٩٦٨

وان وايت تنقصه الوسائل الكاملة للنهج الحلّجي. وكما قلنا فان الخلوة فترة ضرورية جداً، ويجب ان تركز -في الخلوة- فكرك تركيزاً شديداً في الكون وفي خالقه العظيم^(١)..

اغرس الخناجر الوهمية في قلبك كلما خطرت لك خواطر الدنيا الفانية، انظر الى السماء كل يوم، اغمض عينيك. افتحهما. ثم انظر كم هي جميلة رائعة وصافية.. تلك السماء. فالحقيقة جميلة جمال ذلك الصفاء البهي.

اللّه هو الخالق العظيم لهذا الكون. فاستغرق في صلاة عميقة مع نفسك فسيولد اللّه في اعماقك^(٢).

ليست هناك انظف من النظافة الروحية، فكن نظيفاً مع نفسك ومع العالم الى ابعد حدود النظافة في كلّ شيء.

تعرّ امام نفسك واهتك كل الستر المظلمة عن خفاياك المطوية.. ثم ابدأ بالحلج العنيف بجرأة وشجاعة، فالخوف من اقسى القيود التي تكبل الروح عن الانطلاق، ولن تولد الحقيقة إلا بتحرر الروح.

وكان المهندس النمساوي (يوليوس واجنر) يتساءل باستمرار:

- ترى ماهي حقيقة اللّه؟

كان ناجحاً، وهو متخصص في انشاء الكباري، واضطرتّه ظروف عمله الى السفر في بلدان كثيرة، مصر والعراق والسودان ومعظم دول آسيا وافريقيا، فاتقن

(١) و (٢) دعوة إلى التأمل، المنتشرة الآن في العالم، ويدعى باللاتينية (مديتيشن)، حيث تركز عليه مراكز تصوفية كثيرة وحتى الطب الحديث أصبح يقترّب من أهمية (التأمل) كطريق للعلاج.

لغات كثيرة من هذه البلدان واحتك برجال الدين. وبمضي الايام راح يعشق التصوف.

في احدى رحلاته الى السودان، اختفى فترة من الزمن، ثم ظهر وقد اطلق لحيته.. والتقى بأصحابه ليقول:

تم لقد بحثت طويلاً عن الله.. وأخيراً وجدته.. وجدته في قلوب المتصوفة في السودان.

وسمى نفسه (عبدالقادر عبد الباقي) ولبس جلباباً فضفاضاً.. والمثير في أمره انه يؤمن الان بأن (الله في قلوب المتصوفة)..

فالحقيقة تولد من الداخل.. تولد حيث يتم النقاء والصفاء.

حلّجيات

العدد (٢٥١) الثلاثاء ٢ نيسان ١٩٦٨

آخر ما وصله العلماء من تقدير لعمر الكون انه يبلغ (٢١) ألف مليون عام.. أي انه كانت له بداية في الزمان. فهل له بداية في المكان ايضاً؟

واكتشف (فريدمان) منذ فجر هذا القرن فرضيتين تتفقان في (ان الكون الواسع بمجراته العديدة التي تضم بلايين وبلايين النجوم لم يكن ليحتل في الاصل سوى حيز محدود للغاية.. ثم وقع انفجار رهيب.. وتبعثرت الشظايا بسرعات خارقة.. تتزايد باستمرار فنشأت المجرات والعوالم التي نعرفها ولا نعرفها. وبيانتفاح الكون وتمدده تباعدت اجزائه المتناثرة منشئة ما هو معروف - بنمط مفتوح-).

ويعتبر العلماء بأن الكون الذي نعرفه والذي بدأ في الوجود منذ (٢١) الف مليون عام فقط.. مجرد جزء من كيان اعظم شأناً وابعد مدى.. لم يتح للانسان فرصة ادراكه بعد ولا اكتشاف ملامحه ولا التعرف على خصائصه. وسيظل هذا الكيان الاعظم لغزاً يحير العلماء.

وهذا يعني بانه لا تعرف البداية الزمنية للكون الحقيقي الاعظم، ولن يستطيع الانسان ادراك ذلك، وادراك ملامح هذا الكون، او معرفة سر وجوده إلا بفلسفة الحق. واتساءل: ما نسبة الانسان الى هذا الكون العظيم زماناً ومكاناً؟ انها نسبة تكاد لا تقاس، لتناهيه في الصغر.. ورغم ذلك بإمكان هذا الجزء الصغير جداً ان يدرك سر الوجود باكتشافه الحق في نفسه.

السر العظيم للحياة، هو ذاته سر وجود الكون.. وهو مودع في أعماق كل ذرة وكل خلية من ذرات وخلايا الكون والحياة.

اذ اتسعت آفاق وعي العلماء للكون بلغوا شأواً كادوا يضيعون فيه لعظمة هذا الكون واتساعه اللامتناهي. واذ غاص العلماء في الأعماق الداخلية للذرة.. فالألكترونات والنيوترونات.. و.. و.. حتى اكتشفوا بأن النظام الداخلي الذي يتحكم

في حركة اصغر جزء في الكون هو ذاته النظام الذي يتحكم في حركة الكون نفسه. يا له من حقيقة عظيمة تؤكد فلسفة الحق التي تؤكد بأن إكتشاف الحق يتم من الداخل^(١).

- وكان مولانا جلال الدين الرومي يريد أن يرى البحر في قطرة، وان يرى الشمس في حبة رمل. قال ذلك قبل حوالي ستمائة عام.
يقول بعض العلماء، الآن، ان النظام القائم في المجموعة الشمسية هو ذاته النظام الكائن في ذرة رمل.

(١) أي من داخل هذا الجزء الصغير جداً في الكون، وهو الأنسان.

حلّجيات

العدد (٢٥٢) الاربعاء ٣ نيسان ١٩٦٨

العالم العاري يرتجف هلعاً.. كفتاة عذراء عارية، يهم الوحوش بسكاكينهم الدامية،
بإفتراسها وإغتصابها..

الجحيم يفتح فاه للبشرية على عتبة صيحات الجنون الحربي والتهديد النووي..
وفي ظل الغبار الذري يولد الأطفال مشوهين.. وتشوه البشرية..
والناس في هذا العصر ثلاثة:

إما انسان يعيش كالحشرة.. يأكل ويشرب ويتناسل وينام، وما عدا ذلك يستسلم
للقدر واللحظة بذلة وخنوع بلا قلق أو وعي..

او إنسان دفعه التفكير اليومي المستمر، والخوف المستمر من الجحيم النووي،
الى الايمان بالعبث.. فأضحت حياته فراغاً رهيباً لأنه عبث.. في عبث.. وعبث، ففك
عن نفسه جميع الوشائج التي تلزمه بالمجتمع والحياة..

او إنسان ثوري لا يرضى ان يعيش حشرة، ويجد الحياة رائعة حلوة كأحلام
الاطفال، وليست عبثاً.. وهذا الثوري هو صانع العصر ومحرك التأريخ في هذا
العصر لأنه يريد ان يبدد الغبار الذري عن سماء البشرية ويجلو عن الربيع الحقيقي
للإنسان.. ويريد ان يقتل العبث في العقول والخواء في القلوب.. ولذا يكافح لتغيير
المجتمع ثورياً.. تغيير العالم كله.

هذا العالم الفاجر بفساده وعفونته.. يحتضر، ويقف -الحالَج- بكفنه القرمزي
منادياً ملء فيه: (انا الحق! انا الحق!)..

أترونه أين يقف؟.. ها هوذا هناك في الاحراش.. على عتبة الكهوف في الجبال..
حيث الثوري في خرقة الصوفية ينتعل النار والموت، ويدوس الارض الخراب..
ويبذر في اللهب اشلاء العالم، الفتاة العذراء العارية.. لتنتب من جديد..

بعث -الحلاج- حباً عظيماً، عظمة القلق العالمي.. عظمة الخوف العظيم.. وعند

قدميه تتراعى شواطىء (الأمان الروحي) في لجة هذا المحيط الهائج..

أنا الحق.

الحق هو راية الثوري العظيم^(١).

(١) أكاد أن أقول ان الثوار الحقيقيين العظام في التاريخ هم في الجوهر متصوفة تحرّروا من أوهام وخرافات المجتمعات البشرية، وتساموا عليها بتوصلهم إلى الحكمة والمعرفة، فالتصوف هو الحكمة بعينها... والتصوف هو التحرر من خرافات العادات والقيود ومن الضلالات التي يبثها التسلط والثروة والجشع.

حلّجيات

العدد (٢٥٣) الخميس ٤ نيسان ١٩٦٨

لم تزل روعي الغرقى في الوحل.. مكبلة بالقيود..
لا يسجن الانسان من الخارج، فالحائط ليس سجنًا.. ولا الباب الحديدي او
السلاسل.. او السجان..
السجن من الداخل، رأيت الانسان سجيناً في ذاته من الداخل.. الأوهام، الجبن،
الخبث، العفونة، الخوف، هو من قيود الانسان..
إذ يسجن الانسان روحه في قذارة أعماقه، فهو سجين.. وما أكثر السجناء في هذا
العالم القذرا!..
يتطلع السجين بلهفة وشوق نحو الحرية.. والمحرر العظيم هو الحب..
اتسخت اعماقي بالأوحال القذرة، واغتال الوهم بعض حبي، فتناقلت القيود في
يدي ورجلي..
ما أعظم عطشى -اليوم- الى حبي المحرق!
حبي للحق لم يمت.. وكاد ينعس متخدراً بهددة الايام الكسلى المتثاقبة.. وما
ينعش الربيع في قلبي سوى حبي المحرق للحق العظيم.
ابحث عن الموت بجد.. ويتساءلون:- أنت يائس من الحياة؟..
لم يمت -الحلاج- مازال قلبه مضاء بضياء الحق.. اريد ان اموت.. فيموت في
الوحل والقذارة والوهم.. وموتى هو البعث من جديد..
واذ ابحت عن الموت.. أبحت عن البعث قوياً.. عاشقاً.. عظيماً.. صلباً.. منشداً
تراتيل (الحق) وحدها في وجد صوفي عميق..
لن اريد الموت للموت.. ولا العيش للعيش. وتراودني من جديد الفكرة الجهنمية:
- ما غاية الحياة؟

لا أعتقد بأنه يمكن للإنسان ان يواصل التشبث بالحياة ما لم يجد في اعماقه
القوة على اكتشاف معنى حياته.. وهدفه فيها.
اكتشفت غاية الحياة.. انها السمو ابدأ نحو الكمال^(١). ومن اجل هذا الكمال
العظيم ابحت اليوم من الموت للبعث من جديد نقي المعدن، صافي الاعماق، طاهر
الروح.. فلم اعد اطيع حياة قذرة موحلة.. كلنا فيها سجناء..

(١) هذا القول ليس جديداً، ان كثيراً ما أشار اليه الأنبياء والمتصوفة والحكماء... إلا أن
المهم أيضاً هو ان يكتشف كل فرد هذه الملكة في ذاته، ويندمج بها.

الفصل الخامس

حلّاجيات

العدد (٢٥٤) السبت ٦ نيسان ١٩٦٨

كوردستان.. يا معبدي العظيم!!^(١)

الشقائق الحمراء نبتت خجلى.. بإستحياء كعدارى الكورد.. ونوروزي قد اقترب..
يا لهيب (نوروز) العظيم.. دعني اصير وقوداً.. كي اشتعل مرة واحدة والى الابد..
فعذابي عظيم عظمة أهات (كوردستان)، في كل يوم اشتعل فاحترق لأصير رماداً
فابعث ثانيةً لأشتعل من جديد^(٢)..

يا دمي المتوهج كالزيت، ما اجملك ان ازين بك جدران معبدي الخالد، وارسم به
صورة قلبي الدامي المشتعل..

السفح الجبلي الاخضر يشرق مبتسماً اذ يذوب عن صدره.. تلج الشتاء، ويسيل
رقراقاً نحو الوادي.. فتطل الورود الربيعية ضاحكة بين الصخور، تستقبل شمس
(نوروز) في حب وحنان.

معبدي لم يزل مطوقاً باشواك العليق، والثعابين المسمومة واللصوص يكمنون
هناك خلف الاشواك في جبن.. ولم يزل المعبد سجيناً في العراء يطوقه الاعداء
بالخبث والحدق.. والجشع السافل..

قلبي يعتصر ألماً، واركع كل فجر ساجداً.. مناجياً:

- يا خالقي العظيم! ابعث الضياء الحنون في قلبي.. معبدي السجين..

كوردستان.. يا صومعتي الخالدة.

(١) أتخذ الوطن معبداً. وجسم الأنسان هو معبده، وهو محراب الروح.

(٢) إشارة الى دورة الحياة فالموت ثم الحياة ... كما يرد في الفلسفات القديمة في الشرق
ومصر والرافدين وغيرها.

لم يزل عشيقك العظيم (مولوي)^(٣) يسهر الليالي كلها مترنماً بتراتيل حبك
العظيم، والتقى أمس -بالحلاج- في معراجة الروحي الخالد، وتناغياً حياً ووجداً..

- اين الحق؟؟

أطلّ (الحق) المطلوب بقيوده من باب المعبد السجين.. مرتجفاً معذباً.. يئن أنيناً
موجعاً: انا الحق!

ردد الحلاج مجلجج الصوت: أنا الحق! أنا الحق!

لوح بكفنه القرمزي وتنادى ملء الكون: ولد فجر الحق العظيم.

(٣) شاعر كوردي متصوف يشير في شعره الى الحلاج.

حلّجيات

العدد (٢٥٥) الاحد ٧ نيسان ١٩٦٨

الكاتب (بيتر وايت)^(١) فرض على نفسه عزلة إختيارية.. ترك حياة الصخب والجنون والترف في المدن وسكن الريف في الطابق العلوي لبيت قروي قديم كان مليئاً بالروث.. روث الماشية.. وخلال العام الاول من هذا المنفى الاختياري عاش (وايت) براتب تقاعدي ضئيل جداً لا يتجاوز (١٠) باونات.. ورغم ذلك واصل تجربته.. فهو يخبز ويصنع المربي وعصير الطماطة ويجفف التين ويُعصر الكروم لصنع النبيذ ويحضر الزيتون ويصلح ثيابه وتعلم اشياء اخرى كثيرة.. وقال في نهاية عامه الأول:

- (اجدني في نهاية هذا العام رجلاً أكثر حكمة وقدرة من كافة الوجوه وقد تعلّمت من أخطائي كثيراً).

وقال: (اما ما كنت ابحت عنه، فأنا بصراحة لا أود ان اعرض نفسي عارية امام الناس، واستطيع ان اقول انني لم اجد الحرية أو الاستقلال ولست متأكداً ما اذا كان هذا البحث بحثاً لا نهاية له بالنسبة لأولئك الذين يمارسون مثل هذا البحث. ان عليهم ان يمضوا وببساطة، في بحثهم، غير اني عثرت خلال بحثي على اشياء لم أكن ابحت عنها. في محيطي هذا اعيش في علاقة دائمة مع الطبيعة ولاشك عندي ان المرء كلما كان اقرب الى الطبيعة كان اقرب الى الله، وخلال العام الماضي من حياتي هنا ادركت انني اعرف الله أفضل مما كنت في السابق).

(انها مسألة الحقيقة. وان البحث عن الحقيقة هو الملهم لكل بحث وتدقيق في أي مجال).

والكاتب (وايت) إذ اختلى بنفسه في معبده الفردي، انما وضع الخطوة الاولى نحو بحثه عن الحقيقة والحرية، فالخلوة احياناً ضرورية، لأنه حينذاك تتحرر

(١) كاتب أمريكي.

الروح من معظم الشروط الخارجية التي تخنقها، فيتسع المجال للإنشغال
بالتطهير الروحي..

ولن يستطيع ان يجد الحرية أبداً ما زال يبحث عنها بعيداً عن نفسه، وفي
الطبيعة. الحرية تولد من الداخل، عليه ان يحرر ذاته اولاً، ثم أن الحقيقة ايضاً لن
تولد إلا بالتطهير الروحي، بعد جهاد روحي شاق، من التبتل وقهر المغريات
ورفض القذارة.

والشيء الاساسي انه اكتشف بحق ان البحث عن الحقيقة يلهم الانسان.. بل
يصنعه من جديد.

حلّجيات

العدد (٢٦٢) الثلاثاء ١٦ نيسان ١٩٦٨

طاقات العقل البشري بلا حدود، واذ تنسلخ عن الذهن جلود التبذل والسبات يزداد العقل اشراقاً فيومض بتلك الشرارات الخاطفة من العلم باسرار جديدة.. فالطبيعة طوع بنان الانسان، لذا فان فلسفة الحق^(١) تستوعب بعمق ذلك التفاؤل الكبير الذي يملأ البشرية كلما تم إكتشاف سر جديد.

لو لم تكن هناك حقيقة التغيير المستمر ابداً، لما امكن التحدث بأية لغة كانت عن نشدان الكمال. فالكمال هو وليد التغيير الأبدى ويتم عبر الانسلاخ الكامل من الجلد القذر المتهريء.

نحن نموت يومياً.. نموت ثم نبعث حياً آلاف المرات^(٢) قبل ان نتوارى نهائياً تحت التراب، او بالأصح قبل ان يفنى هذا الجسم الفاني القذر.

فالحقيقة التي اثبتتها العلم.. تقول بأن ملايين الخلايا العضوية في جسم الانسان تموت باستمرار وتتوالد محلها مباشرة خلايا جديدة.. فالإنسلاخ ابدي، والميزة الكبرى للأنسلاخ الروحي الذي يتطلبه الكفاح من اجل الحق، هي ان هذا الانسلاخ لا يتم عفويّاً ولمجرد الاستجابة العفوية لقانون الحياة العضوية كما هو

(١) فلسفة الحق: بدأت هنا بإستخدام هذا المصطلح إشارة الى فلسفة الحلاج. يذكر ان للفيلسوف الألماني هيغل كتاباً بإسم فلسفة الحق. يجدر بنا ذات يوم عقد مقارنة بين الحق في مفهوم الحلاج والحق في مفهوم هيغل. فالحق عند الحلاج هو الفناء في الخالق الأعظم، كما هو عالم السمو والكمال والتحرر من العلائق البشرية ومن العبودية. فالحق يعني الحرية، أي حرية الضمير كما يقول زرادشت. وكان الحلاج متأثراً بفلسفة الحكيم زرادشت. فلن نتوصل الى حقيقة الحلاج بمعزل عن فهم هذه الفلسفة المعبرة عن جوهر الحكمة الشرقية.

(٢) تؤكّد ذلك علوم البيولوجيا والفسولوجيا والطب والفيزياء.

حال موت وبعث الخلايا.. بل أنه يعني صقل الجوهر.. وتنقية الروح، وهذا أمر ممكن تماماً.. بل وانه السبيل الرئيسي الى بناء الانسان الجديد الذي يجري الحديث عنه باستمرار.

بدون ذلك لا يمكن التحدث أبداً عن إنسان المستقبل.

ويكاد يستقر رأي العلماء والفلاسفة على أن التطور الاساسي الذي يقود الى ولادة هذا الانسان الكامل، يشمل تطوره العقلي.. وكل عقل سليم نقي، هو وليد الروح السليمة النقية. فالروح هي العقل.. وهي الحق المنشود.

إن حقيقة ولادة البصيرة الباطنية النفاذة لإنسان المستقبل تعني بأن الروح هي التي تسود وتزدهر وتتفتح.. وتحرر في ذلك العالم السعيد الجميل الذي تتمخض عنه المسيرة الرائعة لكفاح الانسان على الارض.

وليست هناك فلسفة تستطيع استيعاب كل ذلك سوى فلسفة الحق.

حلّجيات

العدد (٢٦٥) الجمعة ١٩ نيسان ١٩٦٨

وفي العربية المتحدة جاء شاعر جديد (محمد سعيد محمد) ينشد ملحمة (الحلاج) بعد انشاد (صلاح عبدالصبور).. وقال:

قتلوا عمي خلف السجن

قالوا: ملحد

كفر الشيخ فوجب القتل

سلوا السيف، فسال الدم

يكتب فوق الرمل الاسود

قول ملحد:

ربّي.. ربّي.. فوق الكل

وغنى قبله الشاعر العراقي (قيس)^(١).. اغاني الحلاج، فالحلاج يبعث عظيماً منتصراً، وتنبت تعاليمه من جديد^(٢)..

الروح عطشى، واذ تخلق الحضارة حاجات اصطناعية او تغري الانسان بالنهم والجشع فتثير الدنيا، حتى ليصير وحشاً لا يشبع ابداً، فأن الصوفيين القلائل الذين يكافحون القدرة بصلاية عظيمة، مازالوا يتبتلون في معابدهم. ففي (لبنان) يعيش صوفي سياسي هو (كمال جنبلاط)، يقول عن الحضارة الراهنة وعن علّة هذا الانحلال والانحطاط:

(في الحضارة التي نعيش فيها اليوم لم تعد معظم الحاجات طبيعية بحيث ان

(١) هو قيس لفته مراد. وهو من أصل كردي ولد وعاش جنوب العراق.

(٢) إشارة إلى بداية إهتمام جديد بأسطورة الحلاج وتراثه الروحي، مازال هذا الإهتمام مستمراً.

الحضارة هي التي تخلق حاجات اصطناعية لاتتصل بشيء لابيئة الانسان الطبيعية ولا بنزعات فكره ومتطلبات راحة جسده ولا عاطفته، بل تجذب الانسان بحواسه الغريزية، كما تجذب الفراشة الى شعلة الشمع او تتوهج بعض اوراق النباتات نحو نور الشمس، ويبحث عن نفسه في الخارج كمن اضاع بصره وسمعه، فسعى كي يجدهما في اغراض السمع والبصر، أي في الشكل والصوت، ولم يفقه انه الذي يعطي للفرق شكلاً ويعطي للتموجات الحسية صوتاً. ومشكلة الانسان انه نسي ان يبحث عن الله في الداخل ويستقطبه من خلال الأديان ويعري الأديان مما تضمنته من طقوس وعادات وممارسات، لتتوضح معالم هذه الحقيقة على ضوء الصفاء الاخير، وفي انتباه العقل حيث تنبثق الكينونة وتصبح انساناً). يا له من تلميذ مخلص للحلاج(٣).

(٣) اقصد: كمال جنبلاط، القائد اللبناني (الدرزي) المعروف، الذي بنى مدرسته الصوفية إنطلاقاً من التراث الروحي الدرزي الذي هو تراث إسلامي يمتد الى أوائل ظهور التصوف في الإسلام.

حلّجيات

العدد (٢٧٠) الخميس ٢٥ نيسان ١٩٦٨

وعملية زرع (الدماغ) أيضاً تنطوي على نفس الاهمية البالغة في تقريب بشائر فجر الانسان الصادق.

وكما انه ليست هناك حدود تعرقل نمو النشاط البشري، فان اثبات نجاح زرع الدماغ والقلب في المستقبل القريب لا يحتاج الى أي برهان، ألم يستطع العلم في هذا اليوم بالذات، التحكم في عمل الدماغ؟

اكتشف العلماء ان لكل اهتمام من اهتمامات الانسان، مركزاً له في خلايا الدماغ، ويربط بطارية على المركز المعين يمكن التحكم في الاهتمام الذي يقوده، ونجحت التجارب الغزيرة في هذا المجال.

ومن المحتمل نظرياً ان يحمل الانسان -المزروع الدماغ- صفات وعادات وافكار الانسان -صاحب الدماغ المزروع، وبقدر ما يبدو إدراك هذه الحقيقة، مضحكاً ومسلماً، فانه ينطوي على إمكانية تطور عاصف جداً للعقل البشري، وبالتالي.. تطور عاصف في ملكاته الجسمية والروحية.. اذ انه في هذه الحالة يمكن توارث العقل العبقري الجبار، واستئصال العقول البليدة القاصرة والمعطوبة، مثلما امكن التحكم بسهولة في منع المرضى المزمنين عن التناسل.

واذا اضيفت الى ذلك عمليات زرع الكبد وسائر اجزاء الجسم الأخرى، فإن المنادي يستطيع ان ينادي ملء الكون بجراًة:

- الانسان الجديد يحبو.. وسيترعرع في الغد الآتي حتماً ويكبر. وهذا السمو يشمل الى الآن، السمو الجسدي، مع اتساع آفاق العقل نسبياً، لكنها تتخلف عن مواكبة وهضم جميع النجاحات في سائر الميادين.

وكل سمو هو تقريب ليوم انتصار فجر الانسان الحقيقي^(١)، ولعل فلسفة الحق

(١) يعبر عن الإنسان السامي بمصطلحات: الكامل أو الأرقى أو الإنسان الأعلى، كما =

وحدها يمكنها ان تستوعب هذا التطور العاصف ووحدها التي تستطيع ان تمنح للتطور المندفع بلا حدود، اتزانه المطلوب كي يصير بناء الانسان الجديد منسقاً منسجماً ومتقدماً بالفعل.

وإذ أن كل تقدم حقيقي، وكل انتصار على الطبيعة لخدمة الانسان هو في النهاية خدمة فعلية لولادة الحق، فإن غاية هذا التطور العاصف يمكن تفسيرها اذن على ضوء الفلسفة المذكورة.

= يقول فريدريك نيتشه بأستلهام ذلك من حكمة زرادشت: أما الشاعر الفيلسوف الافغاني - البلخي - وهو جلال الدين الرومي الذي توفي في مدينة (قونية) التركية ووضع شعراً غزيراً وجميلاً عظيماً فيقول (قبل ستة قرون) عن الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ان تطور الجماد أدى الى النبات، ومن النبات ظهر الحيوان، ومن الحيوان ظهر الإنسان. وسيأتي النوع الجديد، بعد الإنسان الحالي، وهو الإنسان الملائكي، وهو مايعني ان الإنسان القادم هو أسمى روحياً وذهنياً كالملائكة.

حلّجيات

العدد (٢٧٤) الثلاثاء ٣٠ نيسان ١٩٦٨

وحين زارت (أم كلثوم) باريس عام ١٩٦٧، كتب بعض النقاد عن حفلاتها بأنها:

– صلاة دينية!

وهناك بكت الفنانة لأول مرة في تاريخها الفني.. فإن كانت تشدو قصيدة (الاطلال) ورددت:

اعطني حريتي اطلق يديا انني اعطيت، ما استبقيت شيئاً

آه من قيّدك، ادمي معصمي لم ابقيه، وما ابقى عليا

لم يتمالك أحد المستمعين نفسه، فقفز فوق خشبة المسرح والقى بنفسه فوق قدميها.. وانفعلت أم كلثوم بالأغنية فأبدعت ولما انتهت منها كانت الدموع تملأ عينيها.

هذا الرواء الذي يستمده الناس من الفن.. وهذا الاحتضان الحار لكلمات الاغنية الساحرة، يكشف ان ذلك العطش الروحي الذي سيظل محرقاً مادامت ان الروح تعيش في الخواء والعبث.

كان للأقدمين آلهة للفن.. واليوم ان يموت حب الحق في اعماق الانسان، يصير الفن آلهة، وان ان هذا الفن الجديد غالباً مايجيء اصطناعياً لإشباع الحاجات الأصبناعية التي تخلقها الحضارة وحياة الترف. فان الاله الجديد أعجز من أن يروي عطش الروح المعذبة.. فما اسهل ما يموت ويشيخ، لتحل آلهة جديدة؟ لاتبث هي ايضاً ان تختفي بسرعة ولا تجد الوقت الكافي لإشباع نهم الناس وتطلعهم الجنوني الى التجدد يومياً.

هذا التجديد المستمر لكل شيء يومياً، يعكس ذلك التملل الروحي المضطرب الذي يمور من الداخل ويبحث عن شاطيء الامان الروحي.

الحب هو المحرك الاعظم لكل فن عظيم، وهو غاية كل توهج فني وكل احتراق

داخلي..

الحب، الخالق الاكبر للفن، يموت في الحضارة وعبثاً يحاول الفن بوحده - وهو
الظل - ان يروي العطش الذي لن يخدم إلا بالحب - الحقيقة -
الفن هو ظل من ظلال الحقيقة.

حلّجيات

العدد (٢٨٥) الجمعة ١٤ حزيران ١٩٦٨

في كل العصور عانى الباحث المخلص عن (الحق) عزلة إجتماعية مقيتة، رغم إنتصاره في النهاية وتساميه على فجور الدهر. وما أكثر ما يتعذب عاشق الحق في حياته، ويتجرع اخطر سموم الشقاء وإذا به يظل عظيماً خالداً من بين الركّام بعد قرون من التجاهل والنسيان.. وهذا ما عاناه -الحلاج- معاناة دموية..

ويقول الشاعر -هوسمان-:

(اضعف الميول البشرية هو حب الحق)، والكاتب الفرنسي -رومان رولان- يرى بأن الذين يخلصون في طلب الحق قليلون جداً.. ويقول الشاعر الفيلسوف -ابوالعلاء المعري- عن الحق:

غلب المين، منذ كان، على الخلق

وماتت بغيظها الحكماء

والبحث المخلص الجاد عن الحق هو نسغ خالد يمتد منذ فجر ولادة الوعي لدى الانسان وسيتمد الى ما لانهاية.. وهو درب طويل ترسمه علامات هنا وهناك، وهذه العلامات الوية دامية مغروسة بامتداد الدرب، وهي تشير الى الشهداء، صرعى الحق، والمنحورين على مذبحه..،

ولم يعرف الانسان بعد.. حياً اسمى من حب الحق، فلم تبلغ التضحية في سبيل أي شيء، ما بلغت التضحية في سبيل الحق من جلال وروعة وعظمة.

الفيلسوف الشاعر الايطالي -برونو- عاش في القرن السادس عشر، أي في عصر سيطرة محاكم التفتيش على اوروا، حيث كان الناس يحرقون، وبعضهم الآخر يشنقون او تقطع رؤوسهم.. وامتألت عشرات المعتقلات والسجون بمن كان رجال الكنيسة يسمونهم بالملحدين والخارجين- على الدين..!

شب وكبر -برونو- متمرداً يهاجم التعصب الذي يشل المواهب ويجعل القلوب

فضة، قاسية، وخاصةً في عصره الذي كان الناس فيه يتقاتلون مدفوعين بتعصبهم.

وأولى بشائر وثبته الفكرية، مجادلته لرؤسائه اثناء وجوده في الدير ثم إعلانه بقبول ما قاله -كوبرنيكوس- من ان الارض كروية تدور على محورها وتتحرك حول الشمس، وكان هذا الرأي بوحده كافياً للإدانة والحرق..

وانطلق -برونو- باحثاً عن الحقيقة في كل ظاهرة من ظواهر عصره..

حلّجيات

العدد (٢٩٢) الخميس ٢٠ حزيران ١٩٦٨

العرس.. ربيع الفرح الإنساني، التضحية عند العاشق أحد الاعراس..
الأعراس الدموية.. تصبغ يدي وقدمي العروس بالدم الطاهر القاني بدل الحناء..
والاعشاش التي تضم العشاق، تخضر وتزدهر مبتسم الربيع..
اطياف احلام بهيجة.. عينان مكحلتان بضياء الحب.. شاطيء اخضر ترسو عنده
سفن العشاق.. الروح كالحق.. قوة وعظمة تجوب الألوان بإنطلاق.
يزقزق الاطفال مبتسمين للسكاكين اللامعة.. لمعان الخناجر يعمي الابصار..
الفصل القرمزي خفت حدته ولم يعد يقطع.. والجزار مرهق أضناه التعب وأوهنه
القتل^(١)..

خُضَّتْ الدماء فغدت مذاقها المالح.. وأكلة اللحوم تحولوا الى النباتات.. والانياب
المسوسة سقطت واحدة واحدة.. فالأفيال فقدت خراطيمها، والقطط لاتستطيع
اخفاء مخالبيها، فيسمعها الجميع وهي تسير على السطح..
البومة اضحت تطير في ظهيرة الصيف.. والبلابل لم تعد تغرد..
كل شيء تغير.. مات العالم القديم.. مات الخواء والعيث والظلمة في الخيال.. مات
الجميع، مات كل شيء، الكون العظيم مازال يمور متحركاً بلا ضجر.. والأرض

(١) تلميح إلى ماكان يحضر له في الخفاء والمآسي المقبلة التي يمارس فيها القتل
البطش بالناس، حتى يصاب الجزائريون أنفسهم بالتعب والأعياء. أما عن إبتسامة
الاطفال للسكاكين فتعبير عن أطفال أبرياء لايفقهون مأساة البطش بهم وربما
يعتبرون ذلك لعب أطفال. وقد تحققت مع الاسف صور ملموسة عن ذلك عام ١٩٨٧
- ١٩٨٨، حين وضع جندي فوهة بندقيته في فم طفل رضيع راح يمص الفوهة لانه
كان جائعاً، فأطلق الجندي النار في فمه! هذه الصورة موثقة في فلم عثر عليه في
ارشيف سلطات النظام السابق.

-العذراء، قد اغتصبها الوحوش وها هي اليوم تحبل بالوحش الرهيب.. وحش ينذر
بالدمار والطوفان..
ليتفجر الطوفان.. وليولد الوحش ويكبر ومازالت الارض قد تلقت بالوحش..
على صدر هذه الارض بنيت عشي، وهيات نفسي لأستقبال العروس.. وياما طال
انتظارها! وباللهيب الشوق اليها من حرقه الصدر..
فرشت عشي بالورود.. وحيطانه من سيقان القرنفل.. والسقف مطلي بالحناء،
كما يردده المغني الكوردي^(٢).. «فقرة من الفولكلور الكوردي»..
ايها المغني الحالم، زدني طرباً.. اريد ان اعرس بين فكي الوحش حيث انزف دماً
من روحي وقلبي وجسمي كله، وهو عرسي الحقيقي..
اسعد الاعراس.. اشدها دموية..

(٢) اغنية شعبية كردية قديمة.

حلّجيات

العدد (٢٩٣) الجمعة ٢١ حزيران ١٩٦٨

كالمجذوب الى النور..

كالفراشة المجذوبة الى الشعلة المتوهجة.

اقتلع بفيلسوف فرنسي شاب مركبه عبر المحيطات، والتقى بالصوفي العاشق
-جيفارا-.. تلقح بروحه، وارتوى باللهيب..^(١)

تجرع الثورة جرعة واحدة، وانتشى، فاحتضن الاحراش والجبال.. وارتوى على
صدر الأرض، يحفر الخندق للدفاع..

- قف ايها الباغي! خذ الموت دفعة واحدة..

البحث عن الموقف الثوري الحقيقي في هذا العصر، هو احد ميادين البحث عن
-الحق-.. فإرادة -الحق- تقضي بالثورة على العالم القذر الفاسد.. وتقضي
بالإحتراق في درب الثورة.

تعمد الفيلسوف بالماء المقدس للثورة، وانفتحت عينه على العالم الجديد البهيج..
تتلمذ في احضان اللهيب على يد الصوفي الملحى.. ذي الحقيبة اليدوية المملوءة
بالأدوية.. للشعوب.

تمنطق بالخراطيش، وانتعل النار..

العنف من اعراض مخاض العالم.. ومن بشائر الوليد الجديد..

الحق هو العنف الثوري ضد الطغاة. -يا حبيبتى الساحرة.. الثورة المقدسة..

(١) كان ذلك سنة ١٩٦٧. وقد ترددت فيما اشاعات غامضة عن احتمال وجود علاقة هذا الشاب باكتشاف موقع جيفارا ومصرعه. إلا أنني اتحاشى الخوض في ذلك لأن معلوماتي عنه لم تستكمل. وقد تكشف الأيام عن الحقيقة وبراءة وإدانة هذا وذاك في إعتقال وقتل جيفارا رمياً بالرصاص. وأشار الى دور المخابرات الأمريكية في كل ذلك.

زيديني احتراقاً!-

رحل -جيفارا- الى العالم الخالد العظيم، مشرق الروح، وغاب الشاب الفرنسي في زنزانة -بوليفيا-.. -ايتها الزنزانة الموحشة لاتضيقي عليه.. دعيه يتنفس العشق والثورة من شقوق الارض الملتهبة!-

صديقتة الفنزويلية -اليزابيث بورغوس- ظلت تشعل اللهب.. وتنشر قبساته الى أصقاع جديدة. والتقت الروح بالروح.. شدتها زكريات الكفاح معه في فنزويلا.. الى العاشق السجين.. فحملت قلبها على كفها نحو السجن والظلام.. واقتحم الحب جحافل ظلام الدنيا كلها.. وولد العرس^(٢) في الزنزانة البوليفية.. وعاش العاشقان عرساً دموياً عظيماً، وركع العالم ساجداً:

- ما اعظمك ايها الحب!! ايها الحب المحرق للحق..

(٢) عقدت اليزابيث الزواج مع حبيبها في زنزانتها في بوليفيا، تضامناً معه.

الفصل السادس

حلّجيات

العدد (٣٣١) الاثنين ٥ آب ١٩٦٨

غاندي كان بنادي بالحق وباللاعنف..

ويبعث -الحلاج- ليناوي بالحق والعنف. فالحق المصلوب بعنف لن يتحرر من عفونة الطغاة إلا باللاعنف.

ثمة اشكال واساليب متعددة للكفاح من اجل الحق. والشرط الاساسي ان تحب الحق حباً محرّقاً وان تكون مستعداً للتضحية في سبيله.. ولن تبلغ التضحية ذروة سموها إلا باللاعنف.

اعرف من الكفاح (اللاعنف اللاثوري) الذي خضته فترة من حياتي. وهو اضعف الايمان. لم يكن ذلك ذنباً.. فقد علموني على هذه الاستكانة المهينة.. (اللاعنف اللاثوري). وثمة هناك (لاعنف ثوري) وهي درجة اولى في الكفاح الحقيقي من اجل الحق.

من الرائع جداً ان ينتصر الحق باللاعنف، رغم شكّي الكبير في هذا الامر. ان المنعطفات الحادة الحاسمة في تاريخ المجتمع البشري.. مؤشّرة برايات دموية قرمزية..

و-الحلاج- صلبوه حين صرخ: انا الحق!

هناك من لا يزال يخوض (اللاعنف اللاثوري) في بقع من العالم، قد يكون بعضهم مصيباً وبعضهم متخذراً.. متورطاً في خطأ تاريخي كبير.. ويعلمنا الناس في بوليفيا.. فيتنام.. وشعبنا التليد.. امراً آخر.. امراً أروع وأجمل وأسرع.. إنه (العنف الثوري)^(١). اجل! العنف الثوري.. فثمة هناك (عنف لاثوري) ايضاً.. كأن

(١) في هذه الفترة شاع بين جيلنا مصطلح (العنف الثوري) الذي استغلوه فيما بعد لأغراض ارهابية. وكنا نفهم من هذا المصطلح هو الدفاع المشروع عن الحرية =

يقتل الانسان انساناً لسرقة دراجة القتل او ارضه او محفظة نقوده.. او كان يهاجم الاستعمار الشعوب المكافحة المناضلة في سبيل حقها في الحياة. و(العنف الثوري) هو رد الفعل الطبيعي لهذا (العنف اللاثوري). ثمّة (عنف لاثوري) رهيب يجتاح العالم، ويصيب رذاه ووطننا ايضاً.. من اجل ذلك أميل إلى (العنف الثوري) بعد ان لم يعد (اللاعنف الثوري) يجدي شيئاً.. اما (اللاعنفي الثوري) فقد اضحى محنطاً في متحف التماثيل المصنوعة من الشمع في ايطاليا.

= والحقوق المسلوبة والأستعداد للتضحية وأقصد بالعنف الثوري ان يضحي الانسان بنفسه من أجل الحق والعدل وليس ان يمارس العنف ضد الآخرين. بمعنى أن يمارس الآخرون العنف ضده وليس العكس. وهي معادلة صعبة، مع انها تحققت على الأرض، فقد ضحى آلاف المناضلين بأنفسهم وقضوا تحت التعذيب والملاحقات دون أن يؤذوا أحد أو يمارسوا العنف ضد أحد ودون أن يقابلوا العنف ضدهم بأعمال التآر والانتقام، بينما تحولت أشكال أخرى الى أعمال ارهابية مرفوضة طبعاً. ولازالت الأعمال الإرهابية موجودة حتى صدور هذا الكتاب (٢٠١٠).

حلّجيات

العدد (٣٣٢) الثلاثاء ٦ آب ١٩٦٨

النار مطهرة.. وبالنار يصهرون الحديد ليعيدوا سبكه من جديد. والنار هي الرفيقة الأزلية للإنسان.

اعشق اللهب لأنه يحرق اليابس الذابل بسرعة، اضرموه مشعلاً على قمة جبلي.. وبين احراش سهلي ودعوه يتسع ويكبر فليحترق ما يحترق، فارضنا البكر العذراء تشكو خالقها من الاهمال والعطش والجوع.. وهل يبز الرماد شيء سماً للأرض الجائعة؟؟ احيلوا الهياكل اليابسة الذابلة رماداً.. لاتخافوا اللهب.

عرفت الحب عظيماً حين يقود الى الاستشهاد. وأية تضحية أروع من الموت خلف المتراس.. والكفان مملوءتان بحفنتين من التراب النقي الطاهر؟؟ وأي عرس يبلغ جلال وبهاء تشيع التابوت الدموي عبر سنابل القمح الذهبية؟؟ وأي قصر منيف يضاهي خلود قبر صغير بين كومة من الصخور.. صخور الوطن؟! بل أي فرح يبلغ عظمة سعادة الشهيد حين تظله أسعاف النخيل الخضراء في العراء؟

من أجل ذلك أعشق.. أعشق بعنف، واشرب الموت الشريف من مناهل التضحية.. واتوسد صخرة او افترش البردي.. أه! يا نسمة رطبة فوآحة من بردي الاهوار.. يا نسمة باردة من السوسن البري عند قاعدة (هندرين)^(١).. يا نسمة، انا عاشق احترق عطشاً الى الحب.. فالحق المخنوق، هنا، في احوال القذارة على ضفاف دجلة.. يدغدغ آمالي الكبيرة لتستيقظ من جديد.. فيبعث حبي من جديد. وتسرع بي قدمي نحو اللهب.

أنا أعشق اللهب، وأرغب في ان أتعمد بالنار^(٢).. فأتطهر.

(١) هندرين: أسم جبل شامخ معروف في كردستان، شهد التضحيات والمقاومة.
(٢) التعمد بالنار- اشارة إلى الثقافة الزرادشتية، الكوردية، القديمة التي تبارك النار والضوء وترى فيه قدرة وجلال الخالق الأوحد.

اتريدون تطهير ارضنا النقية من قذارة الانذال، ورجس الفاسقين؟! لن يكون ذلك
سوى بالحريق^(٣).. الحريق الاعظم، الذي تصطبغ بلونه القاني، شفاه افق الشرق
كله..

حبيبتني: النار...

ان احترق فيك خير الف مرة من ان يلاحقني من استكانتي.. العار!

(٣) دعوة إلى التمرد والثورة. وتحقق شيء من ذلك أثناء أنتفاضة ١٩٩١، وهي الحريق
الأعظم قبل نهاية القرن العشرين.

حلّجيات

العدد (٣٣٧) الاحد ١١ آب ١٩٦٨

ثمة أمور أخرى اعمق.. تتعلق بحياتنا اليومية، وتمتد لتشمل حياتنا كلها في غدنا الآتي. ان الامبريالية تخطط وتنفذ برنامجنا يومياً طويلاً لنفس لتخريب حياتنا الاجتماعية والفكرية والسياسية.

من مظاهر هذه المؤامرة اليومية الواسعة: ترسيخ نمط الحياة الفردية الغربية.. وغرس روح الفردية بتشجيع هذا النمط الغربي من الحياة، وهكذا نرى نزوع الحياة العائلية نحو التفكك والانحلال، وضمور الروح الجماعية لدى الناس.

ولم يزل المثقفون في القلب من الحركة الثورية. وسرعان ما يتكهرب المثقفون بنمط الحياة الغربية.. التي تتسم بالفردية.. من هنا تنبع هذه العقليات المتحجرة لقادة المجتمع. فبعد ثورة تموز نشأت فئة ارسنقراطية بيروقراطية جديدة من المثقفين والعسكريين الجدد، وتكاد تتميز بخصالها وسماتها الخاصة وان كانت قد تهادت واستسلمت الى دماء أحضان بقايا الطبقة الاقطاعية-البرجوازية. كون المثقفين مازالوا يشكلون (القلب) في الحركة الثورية.. يفسر هذا التخلف الرهيب للحركة، وهذا التعثر الواضح في مسيرتها. وعلى أيدي هؤلاء.. وإنعكاساً لظلالهم المنحرفة ولد جيل عقيم.. مشلول خامل.

المجتمع الفاضل الشريف الذي نبتغيه يقوم على أسس من العلاقات الاجتماعية النظيفة والسليمة. تتسم بالصدق والاخلاص والصراحة وحب العمل، فالروح الجماعية هي السمة البارزة لهذا المجتمع. ومن الطبيعي ألا نرى آثاراً للروح الجماعية في مجتمعنا الراهن الا في القلوب السجينة لنفر قليل جداً من الناس.. وهذا لا يعني ترك الروح الفردية تترسخ في الناس فتصير أقوى وأقوى!

ثمة خلل كبير في المجتمع.. فالإنسان المستقيم العاشق للحقيقة والصدق والتقدم، يعاني معاناة عظيمة، ويظل طريد قوى الشر والظلام. والناس قد اعتادوا نمطاً من الناس يريدون فقط ان يعيشوا.. بأية طريقة كانت، حتى ولو على حساب

الكرامة وإذلال الذات وإحتقار النفس. انهم يريدون ان يعيشوا فقط.. فيرى الناس بأن التملق والنفاق والرياء والخيانة والغش والحقد والكذب.. وسائل لابد منها لمواصلة هذا العيش. لذا فلا يتقدم الى الصدارة سوى أشد الناس لؤماً وحقارةً ودناءةً وتملقاً وإستعداداً لإحتقار الذات. هذا خلل كبير في قيادة المجتمع.

حلّجيات

العدد (٣٣٨) الاثنين ١٢ آب ١٩٦٨

الردائل فضائل.. والفضائل ردائل.

ويقول الكوردي: بأن الانسان لا يتحطم إلا من صلابته! أي: كلما ازداد صلابةً كلما اقترب من التحطم! ويفسر ذلك قول الناس بأن الانسان يجب ان ينحني للعاصفة ريثما تمر وإلا تحطمه وتقلع جذوره.. قد يكون بعض ذلك صحيحاً حين يتعلق الأمر بأمور قسرية جداً تتمرد على إرادة الإنسان تمرداً نهائياً.

لكن الناس اعتادوا ان ينحنوا حتى للنسمة العليا صباحاً.. وللدومة الهوائية الصغيرة صيفاً. فيبررون كل تملقهم وكذبهم وخداعهم واستسلامهم المشين لواقع الاستغلال والتخلف والبعي.. بهذه المقولة العرجاء التي لاتستطيع ان ترتقي كل مرتفع.

لذا اصبحت الفضائل عندنا ردائل.. والردائل فضائل. وخلال هذا الجو المعكر من فوضى العلاقات الخاطئة، ضاع كل شيء.. ولعل أهم ما ضاع هو الانسان كأنسان، وأهم ما غابت هي قيمة هذا الانسان كإنسان.

قد يبدو الأمر بسيطاً حين الكلام.. إذ أن الانسان عندنا هو أتفه الاشياء، وآخر ما يفكر فيه أولو الأمر، وعنوان المجتمع الانساني الحقيقي هو أن يصير الانسان اعظم الاشياء واول ما يجب ان يفكرو في تطويره واسعاده. وكم يتطلب قطع المسافة بين مجتمعنا وذلك المجتمع، من جهود واعمال وتضحيات!

أتريدون ان احلج لكم القضايا اليومية طبعاً؟! حسناً! انا لا اجيد الحديث عنها إلا بهذه الطريقة التي تقرأون. وحين اتلفتُ حولي.. وارى هذا التحلل الفظيع والفساد المستشري في كل مرفق، والعفونة التي تتصاعد من أوحال المجتمع.. أكاد أذوب خجلاً، لأنني اشعر بالذنب.. واشعر بأنني سبب كل ذلك، ويشد عذابي الداخلي حين اشعر بأنني تخلفت ذات يوم عن الكفاح من أجل تحرير الإنسان.

أنتم تعذبونني -يا اخوتي- حين تطلبون مني الغوص في الاعماق الموحلة
الملونة لحياتنا اليومية. يكفي ان اقول لكم للمرة المائة بأنني اواصل حلج نفسي
كي أتطهر من هذه الاوحال فاستطيع تحرير الآخرين أيضاً..
ثمة سبيل واحد امامنا.. ان نحلج انفسنا بإستمرار كي لا نتوحدل^(١)!

(١) أريد القول ان النقد الذاتي هو الأساس والمفتاح. أنتقد نفسك قبل الآخرين والمجتمع.
وتحرر المجتمع يبدأ من تحرر الفرد. فالتغيير المنشود لحياة الناس على كوكب
الأرض يبدأ من التغيير الذاتي للفرد لنفسه. مازلت ازداد إقتناعاً بذلك.

حلاّجيات

العدد (٣٦٣) الاربعاء ١٧ ايلول ١٩٦٨

في عيد نوروز

الحلاج يحترق وجداً الى عيده ويسأل كل مسافر: متى نتنورز^(١)؟
متى يحل عيد نوروزي^(٢)؟ متى اصلي من جديد ركعتين متوضئاً بدمي المسفوح
من رسغي؟

بأي حال عدت يا نوروزي؟ (بيره ميرد)^(٣) لم يزل يعلم شبيبة الكورد نشيد
(نوروز) العظيم.. ها هوذا يطل على كوردستان العظيمة من باب محرابه الخالد
على كردي سه يوان): (حل اليوم عيد نوروز الخالد.. لا تبكوا شهداء الوطن.. لن يموت
من يعيش في قلوب الشعوب)..

والشاعر (زيوه ر) يقول لورود الربيع الحمراء: الم تخجلي ايتها الورود القانية،
حين تفتحت ضاحكة وانت مروية بدماء شهداء الوطن؟؟.. ولم يزل فائق (بيكه س)
يهز قيوده (قسماً برجولتي، سأقيد عدوك - يا وطني - سأكبله كالكلب وادعه
صاغراً ذليلاً تحت قدميك)^(٤)..

(مه ولوي) العظيم يرتب لحيته البيضاء الطويلة، وعيناه تذرفان دموعاً لؤلؤية..
فكوردستان الحبيبة تحت قدميه لم تزل تبكي دماً.. والثلج منها حين يذوب، يسيل

(١) و(٢) اشارة الى عيد نوروز، ٢١ من آذار كل عام، حيث تضرّم النيران ويحل الربيع،
وهو يوم الحرية ايضاً. وكان الحلاج يردد: متى نتورز؟ معناه أنه كان يعرف نوروز
ويحتفل به.

(٣) بيرميرد: شاعر ومفكر كوردي كبير أعطى الكثير للثقافة الكوردية وأحيا عيد نوروز
والاحتفال به ووضع نشيداً جميلاً بداية العشرينيات، ما يزال يعتبر النشيد الشعبي
الرئيسي لنوروز، يغني كل عام مئات المرات في كافة اقاليم كوردستان.

(٤) وردت اسماء العديد من عظماء الشعراء الكورد في القرن العشرين وصور قصائدهم.

قانياً، فاصطبغ الافق عند السهول المترامية جنوب كردستان، بذلك الوشاح
الاحمر.. و(كوران) بكفنه القرمزي ينشد نشيده العظيم الوردية الدامية).. فالفتى
الكوردي ينزف الدم من صدره وهو يقبل عتبة عذراء الحرية متوسلاً:
(انظري.. ماذا فعل رجال العدو.. كان عليّ أن اذهب، رغم انني لم اقطف سوى
الجراح).. و(يا ايها الرقيب.. اياك ان تقول بأن الكورد قد ماتوا).. فالشاعر (دلدار)
ثائر يلتهب، وعيانه تشعان مثل جده العظيم (حاجي قادر كويي)..
أيه! يا (نوروز).. جمعت عذارى الكورد اكواماً من أغصان شجر (البلوط) على قمة
(بيره مه كرون) وفي هذا المساء سيندلع اللهب عالياً.. دعني احترق فيك وافني
مرة واحدة والى الابد.. وذاك خير لي.. فانا اشتعل كل يوم واحترق فأصير رماداً ثم
أبعث من جديد لأحترق ثانية^(٥).. فأحرقني يا لهيب (نوروز) مرة واحدة والى الابد

(٥) اشارات تأتي في مضامين بعض أشعار الحلاج.

حلّجيات

العدد (٤٠١) الاثنين ١٤ تشرين الاول ١٩٦٨

اللحظة.. كما قلنا، هي أعظم من أن يستوعبها العقل استيعاباً كاملاً. وكذلك شأن أصغر الأمور التي قد نتوهم بأنها تافهة.. فلم تزل ظاهرة -التعب- مثلاً من الظواهر البيولوجية والسايكولوجية التي لم يبت العلماء في اسبابها..

والطريف أيضاً انه مهما اتسعت آفاق العلم والفكر، وتجلت للإنسان اسرار جديدة في الطبيعة وفي الحياة.. تزايد الشعور بالعجز تجاه كل هذه الاسرار. فبعد فحص -الجسم الانساني- كله فحصاً يومياً مستمراً وبصورة علمية منذ قرن تقريباً، اضافة الى معالجته وفحصه منذ وجوده.. منذ وجود الطبيب الاول -لقمان-.. بعد كل هذا لم تزل هناك ظواهر غامضة في هذا الجسم، لعل ابسطها وابرزها -النوم- مثلاً و-التعب- و-الحكة- أيضاً.. وهي من الظواهر التي تنتابنا ولكثرة ما تضغط علينا أسبابها وأعراضها ولثقل وطأتها علينا وسلبها لإرادتنا.. نكاد لانفكر بأسبابها، بل نعتبرها من الوظائف العضوية والحياتية الضرورية التي لا مفر منها.

هناك، ماعدا هذه.. عالم واسع معقد وغامض وعميق من الظواهر السايكولوجية.. التي نسميها بالحياة الروحية غالباً، لأنها كلها تجتمع في كونها صادرة من دوافع خفية كامنة في دخيلة الانسان.. وفي اعماقه العميقة..

ما منشأ الخوف مثلاً؟! لماذا يخشى البعض شيئاً بينما يتلذذ به آخرون؟ ما مدى إرادة الانسان في السيطرة على نفسه؟ هل أن الانسان الذي نتهمه بالخوف هو جبان فعلاً؟ وما هو الجبن؟ أليس بعض الخوف ضرورياً ألا يتقي الجميع الحية السامة؟ وهل هناك اسباب اخرى للخوف.. من خوف فقدان الحياة؟

والخوف -بعد كل ذلك- هو ألد أعداء الانسان.. وهذا الكفاح الشاق الذي يخوضه عشاق الحق، انما يستهدف تحرير الانسان من هذا الخوف.. ومع ذلك يظل الموت ضيفاً عزيزاً، سواء انتابنا الخوف أم لا!

انا محكوم بالموت.. وها انا ذا اسير واضحك واعمل واكافح واغضب واحب
واحقد.. ولكنني محكوم بالموت في نفس الوقت، وانا محكوم بتحمل وطأة هذا
الشعور المستمر بالموت.. فأنا لا أخشاه اذن! ورغم ذلك أخشى اموراً اخرى.. أخشى
كلمة مخدشة.. مصيبة.. فقدان عزيز.. فقدان عين.. كارثة فاذا كنت لا اخشى الموت،
فما أسباب الخوف من الامور الاخرى؟

حلّجيات

العدد (٣٦٤) الخميس ١٨ ايلول ١٩٦٨

يزداد عصر التصوف اشراقاً.. ويولد صوفية جدد، فليس من منقذ للنفوس المسحوقة بين دواليب الآلات ودخان الحضارة الآتية بالدمار.. سوى الحب الذي يطهر ويشغف ويرفع الى مقامات الرضى في التصوف الجديد..

الشاعر اللبناني (ادونيس) صوفي متعبد للحب الخالص.. في شعره نزعة صوفية تنبش بإجتهد ما في التراث العربي من نقاوة ثورية لتمد جسوراً بينها وبين الروح الثورية المعاصرة.

وقد لا يصل الى نتيجة مازال يرفض (العنف الثوري)^(١)، فهو يمزج الثورة بصوفية روحانية تحول العمل الى وهم، ومن هنا تنتهي اشراقته.

ان التصوف الحقيقي يفضي الى ممارسة العنف الثوري لإحقاق الحق.. وهذا العصر^(٢) الذي يتململ فجر الحق في رحمته، هو عصر انفجار الدامل المزمته في الجسد القذر للبشرية منذ اقدم العصور. وهذه الانفجارات في الاخلاق والافكار ونمط العيش والفن والعلم، هي وليدة التراكم اليومي المتزايد منذ عصور سحيقة في القدم.

لجوء الصوفي الجديد الى العنف من ابسط الامور منطقية، لأن (الحق) يخنقونه بالعنف، ويصلبونه بالحديد.. بالنار، فليس الصوفي الجديد شبيهه سلفه المنزوي

(١) مفهومي عن (العنف الثوري) للصوفية، هنا، هو ان يذهب المتصوفة بعشقتهم الى حد التضحية بالذات كما فعل الحلاج، وهو الذي لم يمارس العنف ضد أحد، وإنما مارسوا العنف والقسوة ضده الى حد تقطيع أوصاله وقتله وإحراق جثمانه وذر رماده في مياه نهر دجلة.

(٢) كنت منذ تلك الفترة أرى أن عصراً جديداً من الانقلاب الروحي للإنسان نحو الحكمة والعشق الصوفي بدأ يبرز. ومازلت أرى أنه لا بد من هذا الانقلاب ان يسود على مستوى البشرية والآن ستفنى حياة هذا النوع البشري.

في غارة أو معبد، يتبتل بوحده، منصرفاً عن الدنيا كلها.
الناس ينشدون التقدم والكمال في عصرنا.. وآية ذلك أن معظم الامور العظيمة
تتحقق بالعمل الجماعي، ومن خلال الكفاح العنيف تتصقل الروح وتزدهر.
وفي لبنان أيضاً واستيقظ الشاعر السوداني (محمد الفيتوري)، واسترجع حلقات
ذكر الصوفيين بالسودان وتراتيلهم الساحرة، فانشد للبنان قصيدة (انشودة
ال دراويش)..
شعر (الفيتوري) بالعطش حين غرق في وحل الملذات الطارئة، وكادت روحه
تختنق في دخان الحضارة المترفة.. فتعالته في أعماقه مقامات الدراويش فجأة
من كهوف ماضيه البعيد..
تعاليم (الحلاج) تخضر وتتورق.

حلّجيات

العدد (٣٩٨) الجمعة ١١ تشرين الاول ١٩٦٨

زرقة السماء الصافية العميقة، غسّلت مشاعري المضطربة من ادائها وكم حدثت فيها، وغبت عن وجودي.. تأهّأ في خيالي المتسامي، سابحاً في ذلك الجمال الازرق الشفاف.

لم هذا الكون؟ ومن الذي سماه؟ هذا قد يستعصي على العقل المحدود في هذا العالم الارضي الصغير ان يسبر كنهه.. فليس عليه غير ان يغوص في داخل اعماق الإنسان.. هذا العالم الآخر.. العظيم اللامتناهي بحد ذاته لما يحويه من عوالم متداخلة.. ولأنه يستطيع أن يشم ويتذوق ويسمع ويرى الجمال.

غاية الانسان ان يكتشف هذا الجمال الموجود في كل مكان.. وفي كل لحظة.. وحالما يكتشف -الحق- ينشق الظلام الدامس المخيم على الروح، لتسبح في ذلك العالم الجميل البهي الرائع.

زهرة -عباد الشمس- تتذوق الجمال بغريزتها الطبيعية، حين تتمايل دائماً لتسجد للشمس في كل لحظة، وشمس الانسان.. هي -الحق-، فحين يولد، يصب اشعته الدافئة لتغمر الروح وتوقظها من سبات السجن..

بذلك يولد الانسان من جديد.. وهو ان يكتشف الجمال في كل لحظة، فانما يحيا حياة جديدة لكل لحظة.. وبذلك يعيش حياة حقيقية الف الف مرة، فما أكثر الاموات؟

طالما هناك -وجود موجود-.. فهناك -حق-، وهناك ما يخنق هذا الحق، ويمنعنا من رؤيته وكشفه، فالإنسان حين يمرض، يتذوق المرارة في العسل ايضاً. المرض هنا استطاع بكافة اعراضه الخبيثة أن يحول الحلاوة الى مرارة، وحين تشتد وطأة الحمى والقشعريرة علينا، لانرى في الكون سوى طنين مزعج.. وعوالم مضطربة من آثار الهذيان والهلوسة، فتختفي الصور المنسقة الرائعة الطبيعية

للناس والطبيعة حولنا.. وتتحول الى ركام قلق مشوش.
هناك، اذن، امراض خبيثة تصيب الروح وتعطل حواسها ايضاً^(١).. فلا نتذوق
الجمال.

(١) فيما بعد ... عام ٢٠٠٥ قرأت كتاباً بعنوان (طب الروح) باللغة الفارسية كتبه طبيب
متصوف كوردي من مدينة كرماشان بكوردستان إيران هو الأستاذ (بهرام إلهي)
الذي كان بروفيسوراً لطب الأطفال في باريس، وهو نجل الأستاذ الكوردي المتصوف
(نور علي إلهي)^(*) الذي ترك تراثاً فكرياً خاصاً به، وهو معروف بالفلسف وصياغة
رؤية خاصة به عن العالم والتصوف.

.....
(* نور علي إلهي (١٣١٣-١٣٩٢ هـ. ش) ولد في جيحون آباد قرب كرماشان
(كرمانشاه) في إيران. وتوفي في طهران. تقلد القضاء ورئاسة المحاكم ووظائف
إدارية متعددة. خلف آثاراً ضخمة منها كتب: برهان الحق وأثار الحق، ومعرفة
الروح. فضلاً عن كونه موسيقياً بارعاً على آلة الطنبور الخاصة بمنطقة
كرماشان. وكان صوفياً عارفاً، يزور الناس مرقد في بلدة (هشت كرد) التابعة
لمحافظة طهران. وقد خلفه نجله د. بهرام في إغناء نهج الروحاني الثقافي
الخاص بتراث أهل الحق (يارسان). وكان حاج نعمة الله جيحون آبادي
(١٢١٨-١٣٣٨ هـ. ش) والد نور علي إلهي، المولود في جيحون آباد متصوفاً
معروفاً وشاعراً بالكوردية والفارسية وقد كتب ديواناً كبيراً بالفارسية بعنوان
(شاهنامه حقيقي).

حلّجيات

العدد (٤٠٧) الاثنين ٢١ تشرين الاول ١٩٦٨

انا محكوم بالإعدام.. وسينفذ بيّ حكم الإعدام في أية لحظة.. قصدي.. انني محكوم بالموت، وثمة فرق بسيط يميزه عن مصطلح -الاعدام- وهو ان الاخير يتم على ايدي الآخرين قسراً، في حين ان -الموت- تنسجه الأجهزة الداخلية للإنسان. وهو في كل الاحوال.. شيء واحد من الناحية البيولوجية..

جسمي هذا.. فان منذ ولادته! ومم ولد؟ ولد من -نطفة ماء-.. من اتحاد جسمين وروحين.. هما ايضاً ولداً باتحاد اجسام وارواح.. وهكذا.. فانا لست انا..

انا امتداد للطبيعة وللانسان وللناس كلهم. انا شيء -اذن وملأت جزءاً من الفراغ.. انا مادة.. ثم انا اعني واشعر وأحس وادرك، ولي عالم من المشاعر، انا -اذن- روح! وما يتناقض -ظاهراً- مع هذه النظرة، ما يؤكد العلماء بأن كل -انسان هو نسيج وحده- وليس هناك متشابهان. وبسط دليل.. تمييز بصمات اصابع الانسان عن آلاف البصمات لآلاف الناس.

ومع ذلك.. فأنا لست -أنا-.. انا -الناس كلهم-.. وأصير -الانسانية- فعلاً، حين اتكلم بالحق.. وأفكر في -الحق-.. وأعيش -الحق-.. وفي جميع الاحوال والازمنة والاماكن يظل -الحق- حقاً.. والجميل جميلاً.. بدليل ان الجميع -بدون استثناء- يعيشون بالشمس وفي ضياء الشمس^(١).. والجميع محكومون بالموت.

أنا.. العالم.. والعالم.. أنا.. الناس.. والناس.. أنا!

أنا امتداد للحياة.. وامتداد للمادة، وامتداد للعقل. ليس هناك ما يميزني عن أية ذرة من ذرات هذا الكون العظيم! ويشدني شعور عميق بالانعطاف مع كل ما في

(١) الإشارة المستمرة الى الشمس والضياء والعالم الداخلي الوردي اشارات إلى الإستنارة الداخلية كما يريدونها، والى النور والضياء كما في (اشراق) السهروردي، والى النور الالهي في كافة الأديان ومدارس الحكمة.

الكون والحياة من مباحج وظواهر..

والعقل.. هذا العقل -العرش العظيم- للخالق العظيم.. من أين أتى؟ ولماذا؟ وماذا لو لم يوجد؟ ماذا لو فقدناه؟ وما هو الموجود غير الموجود؟ اين يوجد ما لم يوجد وما لا يوجد؟ وكيف امنح -الحق- لحقيقة ما لم يوجد وما لا يوجد وما لا يمكن ان نفكر بإيجاده مع انه موجود فعلاً وهو علة الوجود؟

العقل -عنيد- ورغم كل هذه العقبات، يظل متشبثاً بإصراره الحازم على مواصلة توغله في عالم العدم والوجود! وأكتشف من -أنا- من خلال هذه الرحلة للعقل..

حلّجيات

العدد (٤١١) الخميس ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٨

ليس هناك ثمة سكون مطلق، وإلاّ انعدمت الحياة والمادة.. أي صارت -لاشيء- وتحولت الى عالم العدم.. الفراغ المطلق! ليس هناك شيء من هذا القبيل.

و-الصفّر- في الحساب ليست له أية قيمة مطلقاً من الناحية الكمية.. ولكنه من الناحية النوعية يشكل انعطافاً نحو المزيد او نحو الاقل. ففي حالة درجات الحرارة، يشكل -الصفّر- قيمة لم تكتشف بعد.. اي ان هناك درجة -صفّر- من الحرارة، ولكن ليس بذلك المعنى -اللاشيء في الحساب-.. أو لا يشبه العملية الحسابية التي تجري -ضرباً او قسمة- -زائداً او ناقصاً- فاذا كان الباقي -صفرأ- يعني -اللاشيء- وتنتهي العملية الحسابية، أما في حالة درجة الحرارة.. يشكل -الصفّر- قيمة نوعية لما تحت الصفّر من درجات الحرارة.. فهو هنا يرمز الى انعطاف حاد نوعياً.. وقصدي ان المفروض هو ان يعني -الصفّر- تلاشي الحرارة.. في حين ان -الحرارة- لاتنتهي على الكرة الارضية -أو حالياً على الاقل- لأنها من مقومات الحياة الرئيسية، فهي اما تزيد او تنقص، ولكنها لاتخرج عن نطاق الحرارة زيادة أو نقصاناً.. فالزيادة والنقصان.. انما نقصد بهما -الحرارة-.. وما كنا نعرف -البرودة- لو لم تكن الحرارة.. اي ان الحرارة هي الشيء الاساسي اما البرودة فإنعكاس باهت للجانب السلبي من ظاهرة الحرارة.. تماماً مثلما كنا لانعرف النور لو لم يكن الظلام، لأنه لو كان هناك -نور- ابدأ يشع في كل لحظة، لما كنا نحتاج الى تسميته، طالما اننا نعيشه ولانعرف نقيضاً له كي نسميه فنميزه عنه بهذه التسمية.

ونعود الى -السكون المطلق-.. ونقول بعدم وجود شيء من هذا القبيل.. هناك حركة وتغيير.. زيادة او نقصان.. صعود او هبوط.. وهكذا!

وفي -السرعة- لاتشكل نقطة السكون أية قيمة بحد ذاتها.. فهي من وضعنا نحن، لتمييز فترة حركة جسم بإتجاه معين وبسرعة معينة.. عن فترة سابقة كان

الجسم فيها متوقفاً عن الاحتكاك او الانتقال، في حين ان ذراته في حركة مستمرة ابداً.

نقطة السكون - اذن ترمز الى التحول في السرعة - سواء بالتوقف زمنياً بإنهاء عملية الاحتكاك - صرف الطاقة - او بالهبوط بعد ان كان الشيء - الجسم - يصمد. وحتى من الناحية الزمنية ليس هناك قانون لحساب زمن - السكون - لأنه ليس للسكون زمن.. والزمن لا يكون إلا لما يوجد - أي: للموجود.. للشيء -، فنرى ان حساب - الزمن - في - السرعة - يبدأ من لحظة - الحركة - وهذا كله تؤكدته القوانين الفيزيائية المعروفة.. فلا يوجد اي توقف او سكون في عالم السرعة والحركة.. عالماً..

حلّجيات

العدد (٤١٤) الاحد ٢٧ تشرين الاول ١٩٦٨

انا محكوم بالموت.. وحين اقول ذلك، فلا ادري كيف اجدني هكذا وبدون موعد مسبق، متفقاً مع الشاعر المصري -صلاح عبدالصبور-.. الذي كتب عنه احد الادباء قائلاً:

- والشاعر صلاح عبدالصبور يعامل الموت على أنه جزء من الحياة.. إنه يؤمن ان الجميع يعيشون الموت كل يوم.. ويمارسونه كل لحظة.. لا لشيء إلا لأنهم مدركون تماماً أنهم سوف يموتون.. هذه هي رؤياه للحياة ولكن ليس معنى ذلك انه متشائم.. انما فقط لونت هذه الرؤية نفسه بنوع من الحزن الهادي.. واضفت على ذاته ميلاً الى التصوف الواعي...

كلنا.. اذن، محكومون بتلك الرحلة الهادئة.. حين يتلاشى العذاب، وتتحرك من هذه الاعمال المرهقة لحركات القلب والمعدة.. والامعاء، والكبد، والكليتين، والمرارة، والرتتين، والعينين، والاذنين، والفم، والأنف.. والدماغ نفسه..

سنتحرر بالموت، فلن يبقى امامنا سوى الاندماج التام بالكون الجميل العظيم، وتحرر الروح من براثن هذا القفص النتن، المتهرىء وتسجد لشمس الحق، مسبحة بعظمته وجلاله وروعته.

نحن نعمل من اجل هذا العالم، ونقدم له شيئاً حين نواصل الحياة.. ولانقدم له اشياء، حين نرمم بعض جوانبه، ونقدم اشياء عظيمة، حين نحرره من القبح والشر واليؤس.. ففي خلال ذلك الكفاح السعيد -رغم مشاقه- من اجل عالم خير سعيد.. تعيش الروح وتزدهر. ونقدم وفاءنا للطاقات والامانات المودعة فينا.

فيينا تكمن طاقات عظيمة لم تحدد بعد.. ولم تنفجر.. وفيينا يكمن عقل جبار هو نفسه عقل اديسون وارخميدس ونيوتن.

فيينا جبروت العالم وثروته وعظمته! وهذه الصلاة الهادئة في محراب الحق..

هي التي تفجر بهدوء منابع هذا الجمال.. وهذه الطاقات العظيمة..
أنا ولدت من جديد.. أنا اكتشفت نفسي من جديد..
ومشكلتي أنني سرعان ما أتيه، فيلزمني البحث من جديد.. ومع كل هذا فأنا
محكوم بالموت.. وسينفذ الحكم بي في أية لحظة..

حلّجيات

العدد (٤١٩) الاحد ١ تشرين الثاني ١٩٦٨

لست ازمع بترادي لفسفة -الحق-.. بأنني اقدم شيئاً جديداً كل الجدة. بل أنا إمتداد متواضع للتراث الفكري والفلسفي والفني الانساني، وفلسفتي تولد بعد هضم الفلسفات واشدها ثورية وصدقاً، مستفيدة من الحقائق العلمية. ويسألني سائل: لماذا الاهتمام بالحياة الروحية للإنسانية؟؟ وليس هناك ما هو اسهل من الإجابة.. وأعظمها وأكثرها أنتشاراً..

تم الفلسفة الاشتراكية- مثلاً.. تغفل هذا الجانب الى حد ما، رغم انها تقدم حلاً لمعظم مشكلات الاقتصاد والاجتماع فلا بد لي ان اتكلم في هذه الحالة.. ولا بد ان أعبر عن ذلك النسغ الروحي الذي يسري في عروقنا رغماً عنا^(١).

وفلسفة -الحق- هي الفكر الاشتراكي+ الازدهار الروحي للإنسان.. لأنني أنطلق من ان كل تحرر يخدم -الحق- وبيتيه وكل شيء علمي صحيح وبديهي.. هو خطوة نحو -الحق-، فالإشتراكية^(٢) تجسد الآمال والاحلام الرائعة للإنسان منذ أزمان سحيقة في القدم، كما تقوم على الفهم الديالكتيكي لكافة ظواهر الحياة والكون، لذا فأنها تصيب في معطياتها هذه، وهذا الصواب هو أحد السبل الموصلة الى عتبة -الحق-.

الشيء الوحيد الذي أفعله أنا هو أنني أسمى الاسم الصحيح لغاية العقل البشري وهي معرفة -الحقيقة- في أية ظاهرة او حركة أو أمر أو فكر في العالم، وبذلك

(١) و(٢) أدركت في هذه الفترة (١٩٦٨) ان الأشتراكية (أو التجربة الأشتراكية آنذاك) ناقصة طالما انها تهمل الجانب الروحي في الإنسان. لذلك وضعت مايشبه المعادلة بأن يضاف الازدهار الروحي إلى الأهداف والآمال الإجتماعية والإقتصادية للإشتراكية، وهي آمال سامية بغض النظر عن إنتكاسة التجربة السياسية للمنظومة الإشتراكية بعد ١٩٩٠.

فإنني أسمي الفلسفة بإسمها الصحيح -الحق- بعد أن كان الآخرون يسمونها بأسماء مختلفة حسب أسماء قائلها أو مزاجهم أو كلمات ومصطلحات أخرى حسب مزاج العصر.

و-الحق- هو كل شيء حقيقي، وكل موقف صحيح، وكل قيمة رائعة، وخطوة تقدمية وشموخ إنساني وسمو روحي.. إضافة إلى أنه مرحلة عليا من التسامي الروحي الذي يشعر عندها أي إنسان بما يشعر به المتصوف الحقيقي من رهبة على عتبة -الحق-، حين تشرق في نفسه قبسات من ذلك الإشعاع المضيء الذي ينير له الكون والحياة ويكتنه أسرار جديدة، وأنا واثق من أن العقل البشري سيبلغ تلك المرحلة بالأسلوب العلمي الحقيقي أيضاً إذا تناسق وتوازى سمو الروح مع سمو المدركات العلمية.

والشعور العميق بالحق هو الشعور بالإنسجام الكامل مع نعمات الحياة والكون^(١).

(١) التصوف يحرر وجدان الإنسان ويغنيه بالجمال والصفاء. وقد كتبت قطعاً أخرى عن الحق والأشترابية (بمعنى العدالة الإجتماعية والمساواة والتحرر من أشكال الاستغلال الفردي والجماعي). فضلت عدم نشرها لأنها ستكون مكررة لمعنى هذه القطعة التي تكون بمثابة إشارة، وهي تكفي.

